المغامرون الخمسة

ألغاز جديدة

لغز البحر الميت

محمود سالم

محب

نوسة

تختخ

لوزة

عاطف

لغز البحر الميّت

حتى في الإسكندرية، تطارد الألغاز المغامرين: صيادون سافروا إلى اليونان للعمل هناك بطريقة غير قانونية، ثم انقطعت أخبارهم عن أهلهم .. لفافة سوداء غامضة على شاطئ البحر.. حتى الكلب زنجر اختفى!

اقرأ اللغز وابحث مع المغامرين الخمسة عن الصيادين المفقودين.

دار الشروق

ص
٤١

6 221102 024570

المغامرون الخمسة
لغز البحر الميت

وسط البلد: ١ ميدان طلعت حرب ت: ٢٣٩٣٠٦٤٣ - ٢٣٩١٢٤٨٠
مدينة نصر: سيتي ستارز مول ت: ٢٤٨٠٢٥٤٤ - ٠١٦٥٥٤٨٧٢٩
مصر الجديدة: ١٥ شارع بغداد - الكوربة ت: ٢٤١٧١٩٤٥ - ٢٤١٧١٩٤٤
الجيزة: فرست مول - ٣٥ شارع الجيزة ت: ٣٥٧٣٥٠٣٥ - ٣٥٦٨٦١٨٧
الإسكندرية: سان ستيفانو مول ت: ٠٣/٤٦٩٠٣٧٠ ٠١٠١٦٣٣٦٨٥

المغامرون الخمسة
لغز البحر الميت

تأليف: محمود سالم

الطبعة الأولى ٢٠٠٩
رسوم: شريف الفار
التنفيذ الفني: رحاب سلامة

© دار الشروق
جميع حقوق النشر والطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٦٦/ ٢٠٠٨
ISBN:978-977-09-2540-5

دار الشروق: ٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

المغامرون الخمسة

لغز البحر الميت

تأليف: محمود سالم

رسوم: شريف الفار

دار الشروق

المغامرون الخمسة

من هم المغامرون الخمسة؟ إنهم أصدقاؤك الذين يتدخلون لحل الألغاز، والإيقاع باللصوص، وإنقاذ المظلومين.

وهم في مثل سنك تقريبًا، والمغامرون هم «محب» وأخته «نوسة»، و«عاطف» وأخته «لوزة». وقد كان هؤلاء الأربعة يقومون بالعمل معًا، ثم انضم إليهم «توفيق» وهو أكبر منهم قليلاً. وقد أطلقوا عليه لقب «تختخ» لأنه سمين.

و«تختخ» ولد ذكي وقد أصبح رئيسًا للمغامرين الخمسة، وهو عقلهم المفكر وبطلهم الشجاع. ويبقى أن نقدم لك «زنجر» الكلب الأسود الذكي.

هؤلاء هم المغامرون الخمسة وكلبهم «زنجر».. أبطال الألغاز التي تحبها.

محمود سالم

(١)

تائه في الزحام

اجتمع المغامرون الخمسة في زحام «محطة مصر» بالإسكندرية في طريقهم إلى «أبوقير» لتمضية الأيام الأخيرة من الإجازة.. ومعهم كلبهم الذكي «زنجر»!

كانت بوادر الخريف قد كست المساء بلون الرصاص.. وتسللت رياح باردة بين الواقفين في المحطة في انتظار قطار «أبوقير» وبدا على وجه «لوزة» سؤال لم تستطع السكوت عليه فقالت: لماذا سموا محطة السكة الحديد «بمحطة مصر» رغم أنها في «الإسكندرية»؟

كان السؤال مفاجئًا.. ولكنه كان منطقيًا وبعد لحظات أجابت المثقفة الصغيرة «نوسة»: السبب كما قرأت أن القطارات التي كانت تصل إلى «الإسكندرية» في الماضي كانت كلها تأتي من «مصر».. وربما سميت «بمحطة مصر» لهذا السبب.

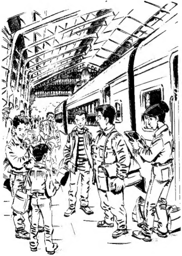

ولكن السؤال الثاني جاء بسرعة من «لوزة» أيضًا: وهل «مصر» هي «القاهرة».. أو «القاهرة» هي «مصر»؟

مرة أخرى تصدت «نوسة» للإجابة فقالت: إن أهل الريف أو الفلاحين كانوا يعتبرون «القاهرة» هي «مصر».. وما زال أكثر الناس يقولون إنهم ذاهبون إلى «مصر» ويقصدون «القاهرة».

لوت «لوزة» بوزها وقالت: ولكن هذا غير صحيح.. «فمصر» ليست «القاهرة» وحدها!

قال «تختخ»: سأقول لك قاعدة أرجو أن تفهميها يا «لوزة»!

لوزة: ولماذا لا أفهمها؟

تختخ: آسف!!

لوزة: لا بد أن تقولها لأرى إذا كنت سأفهمها أم لا!

تختخ: القاعدة تقول: إن الخطأ المشهور أهم من الصحيح المهجور!

صمتت «لوزة» لحظات ثم قالت: هذه ليست قاعدة.. إنها كارثة!

وانفجر الجميع في الضحك.. وقبل أن تكون هناك أسئلة أخرى سمعوا من يصيح: قطار «أبوقير» الرصيف أربعة.

اندسوا وسط الزحام المخيف.. وحتى لا يتوهوا أخذ ينادي بعضهم بعضًا.. وكان «تختخ» يقودهم بحكم قوته البدنية وهم يسيرون خلفه.

عندما وصلوا إلى أبواب العربات القليلة عرفوا أنهم لن يستطيعوا الركوب إلا بالطريقة التي يقوم بها بعض الأشخاص.. وهي القفز من النافذة إلى الداخل..وكان «محب» برشاقته هوالأقدر على القيام بهذه الحركة البهلوانية.. فأعطى حقيبته لـ «تختخ» ثم قفز إلى حافة النافذة ومنها إلى الداخل.. ثم مد يديه ليأخذ «لوزة» ثم «نوسة» ثم «عاطف».. أما «تختخ» فكان من المستحيل رفعه من الأرض.. وانتظر «زنجر» قليلًا ثم قفز خلفهم.

نجح المغامرون الأربعة في حجزخمسة مقاعد في القطار.. وظلوا ينتظرون «تختخ» الذي لم يظهر في الزحام.. وبدأ القلق يسيطر عليهم.. وأطلق القطار صافرات الرحيل ولم يظهر «تختخ» واحتار المغامرون الأربعة.. ماذا يفعلون؟!

قالت نوسة: تعالوا نلقي بالحقائب من النافذة ثم نقفز خلفها!

محب: ولكن القطار بدأ يتحرك.. ولو قفزنا سنموت على الرصيف!

لوزة: وكيف نتحرك بدون «تختخ»؟!

عاطف: إنه يعرف أننا ذاهبون إلى منزل «سامي» ابن خالة «محب» وسوف يتمكن من الحضور بشكل أو بآخر!

تحرك القطار ولم يظهر «تختخ» وبدا على المغامرين الأربعة الوجوم وساد الصمت!!

كان القطار مكونًا من ثلاث عربات مزدحمة إلى آخرها بالركاب.. وقال «محب» قاطعًا حبل الصمت: سأذهب للبحث عن «تختخ» لعلي أجده في الزحام.

عاطف: تعالوا نذهب كل واحد إلى عربة للبحث.. ويبقى واحد لحراسة الحقائب!

نوسة: هذا غير ممكن.. فقد يقوم بعض الركاب بالجلوس على المقاعد بالعافية.. ولن يستطيع واحد أن يمنعهم!

كان الظلام قد هبط والقطار يغادر المحطة في بطء، وصوت العجلات الرتيب يبعث على السأم.. و«زنجر» يجري هنا وهناك مهتاجًا في انتظار ظهور «تختخ»!

لوزة: إنني أحس بالرغبة في البكاء!

محب: تمالكي نفسك يا «لوزة»!

لوزة: إن هذه ليست إجازة.. ولكنها جنازة!

عاطف: ما هذا الكلام؟! هل حدث شيء؟! إن الأمور تسير طبيعية!

لوزة: كيف تكون طبيعية يا «عاطف» وقد تاه «تختخ» في الزحام!

عاطف: إن «تختخ» ليس طفلًا يُخشى عليه.. إنه مغامر مر بكثير من التجارب والمغامرات!!

هدأت كلمات «عاطف» من مخاوف «لوزة» وقالت: لعل غيابه يكون بداية لغز جديد!

عاطف: أنتِ لا تفكرين إلا في الألغاز!

لوزة: نحن في نهاية إجازة الصيف.. فإذا لم نعثر على لغز في الأيام الباقية على الإجازة فسوف ندخل المدارس دون لغز واحد!

كانت «نوسة» تنظر من نافذة القطار وعلى الأضواء المتناثرة كانت ترى الطريق الموازي للقطار تقطعه السيارات بسرعة.. وترى الحقول المترامية والأشجار العالية التي تملأ الحدائق والبساتين وأكثرها تحمل ثمار الجوافة أو البرتقال الذي ما زال صغيرًا!

كانت «نوسة» تحب هذه الخلوة بنفسها، ولا تكاد تلتفت إلى الضجة المثارة داخل القطار.. من زعيق الباعة وبكاء الأطفال والحوارات العالية التي تدور بين الركاب.. ولكن أنفها التقط رائحة «السميط» الطازج وقالت في نفسها لو كان «تختخ» معنا لأكلنا السميط الساخن والدُّقَّة أو الطعمية!!

وتنهدت وهي تقول: أين أنت يا «تختخ»؟!

ثم التفتت إلى بقية المغامرين وقالت: ألا نستطيع أن نشتري بعض السميط؟ إنني جائعة!

لـــوزة: ليس لي نفس لأكل أي شيء.. إن غياب «تختخ» سد نفسي!

هنا تذكر «محب» أن «تختخ» هو الوحيد الذي يحمل «موبايل» وقال: لقد نسينا.. «تختخ» معه «موبايل»!

نوســـة: لعل «الموبايل» هو الذي أخره عن الصعود إلى القطار!

لـــوزة: كيف؟

نوســـة: لقد انتشرت ظاهرة سرقة «الموبايلات».. وقد يكون أحدهم حاول خطف «الموبايل» من «تختخ» ولعل «تختخ» يطارده الآن في مكان ما!

زاد هذا الحديث من مخاوف «لوزة» فقالت: تعالوا نحاول الاتصال بـ «تختخ»!

نوســـة: كيف والقطار سائر وليس فيه تليفونات؟

لـــوزة: هل أحد الركاب يعيرنا «موبايل» نتحدث منه!

أخذوا ينظرون هنا وهناك وهم يفكرون من منهم يملك الجرأة ليسأل أحد الركاب أن يعيره تليفونه المحمول؟!

كان بعض الركاب يحملون أجهزة «المحمول» وبعضهم يتحدث وبعضهم يجري اتصالًا.. ولكن فكرة الإقدام على استخدام «محمول» شخص آخر كانت تثير في نفوس المغامرين الخجل.

وتوقف القطار في إحدى المحطات ونزل ركاب وصعد آخرون.. وبدأت الحركة تقل في القطار مع انخفاض حدة الزحام.. ومضى القطار وتمنى المغامرون أن يروا «تختخ» بين الصاعدين ولكن لم يكن له أثر.. وتحرك القطار.

كان القلق قد أبعد فكرة أكل «السميط» التي راودت «نوسة» رغم أنها كانت تحس بالجوع..ثم كانت المفاجأة؛ فقد ظهر «تختخ» في أول العربة وفي يده طفل صغير يأكل «سميطة».. وفي اليد الأخرى يحمل كمية ضخمة من «السميط». وأسرع «زنجر» إليه مبتهجًا.

ثار الهرج والمرج بين المغامرين وهم يشاهدون «تختخ» يسير متجهًا إليهم وهو يبتسم.

نوسة: ظهر «تختخ» وظهر «السميط»!

واستقبل المغامرون «تختخ» بالأحضان والقبلات.. وهويوزع عليهم «السميط» والجبن الرومي.. ولكن علامات الاستفهام ظلت على وجوههم.. من هو الصبي الصغير؟!

كان «تختخ» طبعًا يدرك لهفة المغامرين على معرفة هذا الولد وما هي حكايته وهويقضم قطعه الجبن اللذيذة: هذا الولد فقد أمه في الزحام.

لوزة: كيف؟

تختخ: ونحن نركب في المحطة سمعته يبكي فتخلفت عنكم وأسرعت إليه وسألته عن سبب بكائه فقال: إنه كان مع أمه.. ولكن الزحام أبعده عنها!

نوسة: وهل بحثت عنها؟

تختخ: طبعًا.. ولكنها اختفت في الزحام الشديد، ولم أستطع تركه وحده فأحضرته معي!

لوزة: وماذا ستفعل به؟

تختخ: عندما نصل إلى «أبوقير» وينزل كل الركاب في الأغلب ستكون بينهم!

محب: لعلها نزلت في إحدى المحطات!

تختخ: لا.. فقد قال لي إنهم يسكنون في «أبوقير»!

كان الصبي الصغير في نحو الثامنة من عمره.. أسمر اللون يلبس جلبابًا تحته سروال طويل.. ويضع طاقية على رأسه فقالت «نوسة»: إنه صياد صغير!

رد الولد: نعم.. أنا صياد.. وأعمل مع أبي على قاربنا الصغير!

عاطف: وأين أبوك يا صديقي الصغير؟

الولد: سافر إلى بلاد بره!

لوزة: وما اسمك يا صديقي!

الولد: اسمي «شلبي»!

ومضى القطار وقد اشتد الظلام.

(٢)

هل هي بداية لغز؟

أخيرًا وصل القطار إلى «أبوقير» وبدأ الركاب ينزلون.. وكان «تختخ» يحمل الولد بين يديه فقد نام.. وأسرع «تختخ» يقف على رصيف المحطة تحت عمود الإنارة حتى تراه «أم شلبي».. وقد كان قرارًا صحيحًا لأن «تختخ» وحوله الأصدقاء سمعوا صوت السيدة وهي تنادي: يا «شلبي.. يا ولدي شلبي»..

ثم رأوها ورأتهم في نفس اللحظة.. فأسرعت إليهم وهي تصيح: ابني «شلبي».. ابني..

وانتقل «شلبي» الصغير من أحضان «تختخ» إلى أحضان أمه التي أخذت تبكي وهي تحتضنه وتنهال عليه تقبيلًا.. ثم نظرت إلى «تختخ» وقالت: كَتَّرَ خِيرَكْ يا ابني.. كَتَّرْ خِيرَكْ!

تختخ: لا شيء يا ستي!

الأم: وأين وجدته يا ولدي؟

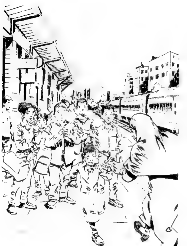

تختخ: في الزحام عندما ركبنا من محطة «مصر»!

الأم: بارك الله فيك!

كان «سامي» ابن خال «محب» في انتظارهم، وقد أعد «كَارِتَّة» جديدة يجرها حصان قوي، وبعد تبادل التحية أخذوا في الركوب.. وكانت «أم شلبي» قريبة منهم فقال لها «تختخ»: تعالي نوصلك!

أم شلبي: إلى أين أنتم ذاهبون؟

رد «سامي»: عند التقسيم الجديد بجوار الكنيسة!

أم شلبي: إنني أسكن قرب هذا المكان!

سامي: اتفضلي نوصلك!

عندما ركبت السيدة وهي تحمل «شلبي» .. وما زالت «السميطة» في يده.. أحس «تختخ» كم هي مُجْهَدَة وحزينة وتبادل هو والمغامرون النظرات!

سألها «تختخ»: سألت «شلبي» عن أبيه فقال إنه مسافر!

أم شلبي: نعم يا ابني.. سافر من خمسة أشهر إلى «اليونان» للبحث عن عمل.. ولم يعد حتى الآن!

تختخ: ولم يرسل لكم نقودًا؟!

أم شلبي: لا.. وكنا في «الإسكندرية» اليوم للسؤال عنه في المحافظة.. فقد سمعنا أن بعض المصريين في «اليونان» تم ترحيلهم لأنهم بلا عقود عمل!

تختخ: وزوجك سافر بلا عقد عمل؟!

السيدة: نعم!

تختخ: وكيف سافر إِذَنْ!

السيدة: سافر مثل بقية الصيادين على مركب المعلم «سيد القصاص»!

تختخ: ولماذا لم تسألي «سيد القصاص»؟!

السيدة: دُخْت السبع دوخات.. ورده الوحيد أنه أوصله إلى مركب يوناني حملته إلى «اليونان» وانتهت مهمته عند هذا الحد!

تختخ: وكم دفعتم لـ «سيد القصاص»؟!

السيدة: «كِتير».. بعنا التليفزيون والغسالة وبعض الحلي الذَهبية!

تختخ: كل هذا؟

السيدة: نعم.. عشرة آلاف جنيه!

كان صوت دقات حوافر الحصان واضحًا في المساء المبكر في شوارع «أبوقير».. والمغامرون ينظرون هنا وهناك.. لقد كانت «أبوقير» مشهورة بالڤيللات وحدائق الجوافة والليمون بالإضافة إلى الأسماك.. ولكنها تحولت إلى مدينة من الأبراج العالية احتلت الشاطئ.. وأضاعت جمال المدينة الصغيرة.. وأوصل المغامرون «أم شلبي» إلى مسكنها.

أخيرًا وصلوا إلى حيث يسكن «سامي».. كان شقيقه الذي يعمل في «السعودية» قد أعد شقة جميلة بها ثلاث غرف للنوم.. وجميع لوزام الحياة.. ولأنه سافر فقد نزل المغامرون الخمسة في الشقة الجميلة التي تقع في الطابق الثالث بالقرب من الشاطئ.. ووقف الجميع في الشرفة العريضة يتأملون البحر الذي كان ساكنًا وليس به إلا بعض التموجات الخفيفة.

كان «تختخ» يقف في آخر الشرفة يرى ضوء القمر ينعكس على صفحة المياه.. ولكن هذا المنظر الجميل لم يشغله عن التفكير في «شلبي» الصغير وأمه المسكينة.. نظر إلى ساعته.. كانت التاسعة مساءً موعد العشاء في أكثر البيوت.. وتصور أن «شلبي» وأمه بلا طعام وقد يقضيان الليلة جَائِعَيْن.

طلب «تختخ» عقد اجتماع سريع للمغامرين.. وشرح لهم ما يشعر به، وأنه لن يستطيع النوم إلا إذا وفر لـ «شلبي» وأمه عشاءً، وأعطى «أم شلبي» بعض النقود.. ولأنه يحمل نقود ميزانية الرحلة معه فهو يستأذنهم في إنفاق بعضها من أجل السيدة «أم شلبي» وابنها.

وافق الجميع في حماس.. وقال «سامي» ابن خال «محب»: من فضلكم أنتم ضيوف عندنا.. وسيكون كل ما تطلبونه تحت أمركم.. وأبي مسافر لأيام وقد ترك لي الكثير من النقود ومواد الطعام في الثلاجة.. وسوف أساهم معكم في شراء ما تحتاجه «أم شلبي» وبجوارنا «سوبر ماركت» صغير يمكننا أن نشتري منه ما نشاء..

فجأة ارتفع صوت «لوزة» قائلة: جميل أن نساعد «أم شلبي» ولكن الأجمل أن نبحث لها عن زوجها الغائب!

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجوه المغامرين و«سامي»!

وقال محب: إنه لغز يا «لوزة».. اختفاء «أبوشلبي».. لغز لم تستطع السلطات المسئولة حله.. فهل نستطيع نحن؟!

لـــوزة: وما هو عملنا إذا كان هناك لغز لا نحله؟!

عاطف: إنه أكبر من إمكانياتنا!

لـــوزة: ولماذا لا نطلق «زنجر» للبحث عنه؟

ضحك الجميع.. وقال «محب»: هل سيشم رائحته في «اليونان»؟!

احْمَرَّ وجه «لوزة» وقالت: ربما!

سامي: سأعد لكم عشاءً خفيفًا بسرعة!

تختخ: لا تشغل بالك بطعامنا.. أولًا تعال نذهب إلى «أم شلبي».. إن مسكنها قريب!

خرج «تختخ» و«سامي» وانهمك بقية المغامرين في إعداد الطعام.. وفي الطريق سأل «تختخ»: ما هي حكاية «أم شلبي» هذه؟!

سامي: ليس زوج «أم شلبي» وحده هو الغائب.. هناك عشرات من الشباب والرجال سافروا إلى «اليونان» ولم يعودوا!

تختخ: وماذا فعلت الشرطة؟

سامي: لقد حققوا في الأمر ولم يصلوا إلى نتيجة؛ فهؤلاء الشبان يخرجون بعيدًا في قواربهم الصغيرة.. وتقابلهم سفن أحد المهربين وتأخذهم إلى شواطئ «اليونان»!

تختخ: ولكني سمعت أن بعضهم غرق!

سامي: وبعضهم وجد نفسه على الشاطئ الشمالي وقد ظنوا أنهم وصلوا «اليونان»!

تختخ: ومن هم زعماء التهريب هنا؟!

سامي: كثيرون.. وبعضهم يهرب المخدرات أيضًا.

تختخ: ولم تصل إليهم الشرطة؟

سامي: وصلت إلى بعضهم.. ولكنهم يلجأون إلى طرق غريبة في التهريب.. وبعضهم يملك لنشات سريعة يمكنها الهرب.. خاصة في «البحر الميت» تحت جنح الظلام!

تختخ: إنني أشعر بالأسى من أجل «أم شلبي» فكيف تعيش؟!

سامي: بعض المحسنين من أمثالك يرسلون لها الطعام أحيانًا..

كانا قد وصلا إلى حارة ضيقة تنحدر إلى البحر.. وقال سامي: أظن أن مسكنها هنا!

سألا هنا وهناك حتى وصلا إلى كشك خشبي يكاد يتهاوى، وكانت تنبعث منه أضواء خافته واضح أنها من لمبة

جاز.. ولكن قبل أن يدقوا الباب قال «تختخ»: ما رأيك أن نشتري أولًا بعض الطعام نحمله لها؟

سامي: فكرة عظيمة!

عادا بسرعة حيث ذهبا إلى «سوبر ماركت» صغير قريب من المسكن فاشتريا جبنًا وحلاوة وزيتونًا وبيضًا وخُبْزًا ساخنًا، ثم ذهبا إلى مطعم قريب فاشتريا فولًا وطعمية.. وحملا كل هذا وذهبا إلى منزل «أم شلبي» وطرقا الباب!

سمعا صوت «أم شلبي» تقول: من الطارق؟

سامي: افتحي يا «أم شلبي» .. نحن أصدقاء!

فتحت «أم شلبي» الباب وعلى ضوء هذا المصباح الخافت ظهر «شلبي» وبجواره فتاة تكبره سنًا.

تختخ: اسمحي لنا يا «أم شلبي» .. نحن مثل أولادك.. وقد أحضرنا بعض الطعام لصديقنا «شلبي» .

كانت البنت الصغيرة الجميلة تقف بجوار أمها وقد اتسعت عيناها عندما شاهدت الطعام.

قال «تختخ» لها: تَعَالَيْ يا حبيبتي.. ما اسمك؟

الفتاة: «سلمى»!

تختخ: خذي يا «سلمى»!

وأعطى «تختخ» «سلمى» الصغيرة وأمها الطعام، ثم دس في يد الأم مبلغًا من المال..وقبل أن يتلقيا أي شكر غادرا المكان..

كان «تختخ» سعيدًا جدًا لما فعل.. ولما وصلا إلى المنزل وجدا الطعام الذي أعده بقية المغامرين.. وانهمك الجميع في الأكل.

بعد سهرة في لعب «الشطرنج» الذي تتفوق فيه «نوسة» على الجميع.. نام المغامرون الخمسة في انتظار صباح جديد.. وطوال السهرة لم تكف «لوزة» عن الحديث عن الرجل الذي اختفى أو سافر ولم يعد.

وقال «سامي»: الظاهرة بدأت منذ أعوام.. وبعض الذين سافروا عادوا.. وبعضهم لم يعد.. وبعضهم غرق في البحر!

لوزة: كيف يغرقون وهم صيادون يجيدون السباحة؟!

سامي: المسألة أن المهربين يضعون عشرين شخصًا مثلًا في قارب يتسع لخمسة أوسبعة أشخاص.. ويغرق القارب بعيدًا عن الشاطئ بكثير.. ولا يتمكن الركاب من العوم هذه المسافة الطويلة خاصة في البرد القارس أو العاصفة الهوجاء!

محب: إنها مسألة خطيرة!

كان «تختخ» يستمع إلى الحوار الدائر بين «لوزة» و«سامي» وهويفكر في هؤلاء الذين ذهبوا ولم يعودوا.. خاصة والد «سلمى» و«شلبي» وزوج السيدة المسكينة «أم شلبي».

وعندما استسلم «تختخ» للنوم أخذت الكوابيس تطارده.. الغرقى والريح والعاصفة والأطفال الذين فقدوا آباءهم.. ولكن الصباح التالي كان يحمل له.. ولبقية المغامرين مفاجأة لم تكن متوقعة!!

(٢)
اللغة السوداء

استيقظ المغامرون الخمسة في وقت واحد تقريبًا.. ووجدوا أن «سامي» قد أعد لهم إفطارًا ساخنًا.. وقد اعترضت «نوسة» على ما قام به «سامي» وقالت إنهم يريدون أن يجربوا حياة يخدمون فيها أنفسهم.

قال «سامي» ضاحكًا: الأيام قادمة.. لا تقلقي!

أسرعوا بعد الأفطار وشرب الشاي إلى ملابس البحر.. وانطلقوا يجرون في اتجاه البحر.. كان الجو رائعًا.. شمس ساطعة.. وبرد خفيف.. وبحر أزرق صافي الزرقة.

ارتموا كالأسماك في الماء عدا «نوسة» التي فضلت أن تجلس على الرمال تتأمل ما حولها وتفكر في قصة الصبي الصغير «شلبي».. ياترى، هكذا حدثت نفسها، هل يمكنهم القيام بعمل ما لمعرفة مصير «أبوشلبي» الغائب؟

السؤال في كل لغز هو دائمًا: من أين نبدأ؟

إنهم غرباء في «أبوقير».. وأي نشاط سيقومون به سيلفت الأنظار إليهم. والطريف أن البداية جاءت من خلال «نوسة»، فبينما كانت تقلب صفحات كتاب «عصر العلم» الذي ألفه الدكتور «أحمد زويل» الحاصل على أرفع جائزة في العالم وهي جائزة «نوبل» ـ وكانت استعارته من مكتبة والد «سامي»، إذ بها تسمع «زنجر» ينبح تحت قدميها.. وكان «زنجر» قد رفض نزول البحر أيضًا وفضل أن يجري على الشاطئ الرملي مطاردًا «الكابوريا» التي كانت تظهر على سطح الرمال ثم تختفي في الشقوق العميقة.. وكانت «نوسة» تتابعه أحيانًا وتتابع الكتاب أحيانًا أخرى.

ونظرت «نوسة» إلى «زنجر» مندهشة وقالت: ماذا هناك يا «زنجر»؟!

وأخذ «زنجر» ينبح ويهز ذيله.. وبين قدميه رأت «نوسة» لفة سوداء صغيرة تقطر منها المياه.

قالت نوسة: ما هذا يا «زنجر»؟! هل هي كابوريا ميتة.. أم فردة شراب قديمة؟

ظل «زنجر» ينبح وكأنه ينبه «نوسة» أن المسألة أكبر من ذلك.. وبعد لحظات تفكير مدت «نوسة» يدها والتقطت «اللفة السوداء»..كان ذهنها يعمل بسرعة.. وأخذت تتلفت حولها لعل هذه اللفة تكون لشخص ما على الشاطئ.. ولكن الشاطئ في هذا الصباح الباكر كان خاليًا.. وسمعت من بعيد صوت دراجة نارية (موتوسيكل) يبتعد.. ثم ساد الصمت.

كان لا بد أن تفكر «نوسة» مرة أخرى.. هل تفتح اللفة لترى ما فيها؟ هل من حقها هذا.. وهل يمكن أن يكون في اللفة شيء خطر كالمخدرات أو المفرقعات؟

وفكرت أنها يجب أن تعيد اللفة لصحابها.. ولكن من هوصاحبها؟! أومن هم أصحابها؟! وهي في هذه الحيرة بدأ المغامرون يخرجون من المياه.. وهم يتصايحون ويتقافزون.. وعندما وصلوا إلى مكان «نوسة» والمياه تقطر من أجسادهم كانت «نوسة» تمسك اللفة السوداء بيدها.

قال محب: ما هذا يا «نوسة»؟!

قالت: اسأل «زنجر».

محب: ماله «زنجر» وهذه اللفة؟

نوسة: هوالذي أحضرها!

تختخ: ومن أين أحضرها؟

نوسة: لا أدري..

أشار «تختخ» إلى «زنجر» وأمسك اللفة بيده وقال: من أين أحضرت هذه اللفة؟

قرب «تختخ» اللفة من أنف «زنجر» فأخذ يزمجر.. فعاد «تختخ» يقول: من أين؟

أسرع «زنجر» يجري وخلفه الأصدقاء.. وبعد نحو مائتي متر توقف عند مكان على الشاطئ بجوار صخرة عالية وأخذ يزوم وينبح.

قال «تختخ» مشيرًا للأصدقاء: لا تقتربوا من المكان كثيرًا.. فقد يكون هناك خطر كامن.. وفي نفس الوقت نريد أن نرى آثار من كانوا هنا.. أو أصحاب اللفة السوداء.

أخذ الجميع يدورون حول المكان.. كانت هناك آثار واضحة في الرمال.. وآثار إطارات (كاوتش) موتوسيكل.

وتذكرت «نوسة» صوت الموتوسيكل الذي سمعته يبتعد.. إذن فهذه الآثار هي آثار الموتوسيكل.. وصاحبه هوصاحب هذه اللفة.. ولكن ماذا كان يفعل سائق الموتوسيكل على الشاطئ في هذا الصباح الباكر؟!

قال تختخ: هناك آثار شخصين فقط.. أحدهما يلبس زعانف للعوم.. والآخر يلبس حذاء «مطاط» رياضيًا.

لوزة: إذن هي بداية لغز!

ضحك الجميع.. ولكن «لوزة» أضافت: رجل يلبس زعانف فهوخارج من الماء وواحد يلبس «كوتش» فهو رياضي!

عاطف: ليس شرطًا أن يكون كل من يلبس «كوتش» رياضي!

لوزة: ولكنه يركب موتوسيكل أيضًا!

تختخ: ليس هذا مهمًا الآن.. المهم ماذا في هذه اللفة؟

صمت الجميع فقد يكون في اللفة شيء خطر!

قال «تختخ»: هاتِ اللفة يا «نوسة»!

نوسة: ماذا ستفعل؟

تختخ: سأفتحها!

محب: ولكن يا «تختخ» قد يكون فيها متفجرات أوشيء خطر!

تختخ: سأقف بعيدًا عنكم!

عاطف: هل تخشى علينا ولا تخشى على نفسك؟!

أمسك «تختخ» باللفة يتحسسها برقة ثم قال: هذه اللفة بها «كتاب» أو «نوتة».. وبها نقود.

ابتعد «تختخ» وهو يمسك باللفة.. ولما أصبح على بعد نحو عشرين مترًا فتحها بحذر.. كان بداخلها كما توقع «تختخ» مبلغ كبير من المال ونوتة وقد بللتها المياه.

وابتسم «تختخ» وهو يقول: كما توقعت بالضبط!

لوزة: فلوس!

تختخ: نعم!

قرر المغامرون الخمسة العودة إلى البيت لمناقشة ماذا يفعلون.. وكان من رأي «عاطف» أن يذهبوا إلى قسم الشرطة لتسليم اللفة.. وكان رأي الباقين أن المسألة تحتاج إلى تفكير.

غادروا المكان وبعد أن ابتعدوا مسافة كبيرة سمعوا صوت موتوسيكل يقترب من الشاطئ فصاحت «لوزة»: انبطحوا على الأرض.

انبطح الجميع خلف جدار متهدم، ونظروا إلى مصدر الصوت.. كان موتوسيكل ضخم من طراز «هارلي» يدور حول المكان الذي وجدوا فيه اللفة السوداء.. ثم نزل صاحبه

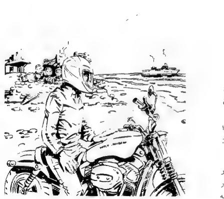

وأخذ يتفحص المكان ثم سار إلى حيث كان المغامرون على الشاطئ.. وأخذ يفحص الأرض ثم عاد مرة أخرى إلى الموتوسيكل.. كان يلبس خوذة سوداء فلم يروا وجهه..

همس «عاطف»: إنه يبحث عن اللفة السوداء!

نوسة: ماذا نفعل؟

تختخ: دعونا نفحصها أولًا.. ونحن نعرف الآن من هو صاحبها!

لوزة: ولكننا لا نعرف اسمه!

تختخ: إن صاحب موتوسيكل من هذا الطراز الثمين لا بد أن يكون معروفًا في «أبوقير»!

أخذ سائق الموتوسيكل ينظر هنا وهناك دون أن يلحظ وجود المغامرين الذين كانوا يتمددون على الرمال خلف جدار منزل قديم.. بعد لحظات ركب السائق الموتوسيكل.. وانطلق حتى قرب نهاية الشاطئ من الناحية الشرقية ثم اختفى عن الأنظار.

استأنف المغامرون سيرهم حتى وصلوا إلى ڤيلَّا «سامي» وسرعان ما جلسوا في حديقة المنزل التي كانت أشجار الجوافة والليمون والقشطة تحيط بها.

وفي الحديقة حيث رائحة الأزهار تملأ المكن جلس المغامرون وقد تعلقت أبصارهم باللفة السوداء.

أمسك «تختخ» باللفة وأخذ يصفها.. إنها من البلاستيك.. سوداء... ولكن بداخلها كيس من القماش السميك الملون بكل الألوان. ثم فتح «تختخ» اللفة وأطلق أصابعه داخلها ثم أخرجها وبين أصابعه بضع أوراق نقدية من فئة الخمسين والمائة جنيه.. وذهل المغامرون.. كان المبلغ يزيد على عشرة آلاف جنيه.

ولكن «تختخ» لم يهتم بالمبلغ.. فقد أخرجت أصابعه نوته ذات غلاف أسود أيضًا تسربت إليها مياه قليلة.. وفتح «تختخ» النوتة وقلب صفحاتها..كانت كلها أسماء وفي مقابلها مبالغ من النقود.. ومد أصابعه فإذا هو يمسك بمجموعة من المفاتيح.

ساد الصمت الجميع.. ما هذا بالضبط؟ ما قصة المبلغ الكبير والنوتة والأسماء والمفاتيح؟

قال تختخ: أريد أن أتقدم ببعض الاستنتاجات!

التفت الجميع إليه وهويفسر ما يرون.. قال: إن الواضح من الآثار أن هناك ضفدعًا بشريًا قدم من المياه ليسلم هذه اللفة السوداء إلى راكب الموتوسيكل.. وهذا يفسر وجود بعض المياه في الكيس.

وصمت قليلًا ثم قال: وما دام تسليم هذه اللفة محاطًا بالسرية؛ فهذا يعني أن هناك عملًا مخالفًا للقانون يتم.. لأنه لوكان عملًا شرعيًا لما كان هناك داع لضفدع بشري يخرج من المياه في الصباح الباكر ليسلم هذه اللفة إلى راكب الموتوسيكل.

لوزة: ما معنى عمل غير شرعي يا «تختخ»؟

تختخ: يعني أنه عمل غير قانوني مثل السرقة والتهريب وغيرهما!

لوزة: وهل هذه سرقة أم تهريب؟

تختخ: أظنها أخطر من ذلك.

عاطف: ما دام عملًا غير قانوني فَلْنُبَلِّغْ الشرطة!

كانت «نوسة» تقلب في النوتة فقالت: لقد قرأت بعض ما في النوتة السوداء.. وأعتقد أننا عثرنا على طرف خيط!

لوزة: طرف خيط للغز؟!

تختخ: لننتظر ونرى.

(٤)

رجل الموتوسكيل

كان الحوار يدور ساخنًا بين المغامرين حول ما في اللفة.. النقود والنوتة والمفاتيح.. وكانوا يطرحون بعض الحلول.. إما تسليم اللفة وما فيها إلى الشرطة وينتهي الأمر.. وإما محاولة معرفة لمن هذه الأشياء.. ولماذا يتم تسليمها خفية بعيدًا عن الأنظار؟

فجأة قالت نوسة: إننا لا نعرف أحدًا هنا سوى «سامي».. وأعتقد أن علينا أن ننتظر ونحكي له ما حدث.. فقد يكون عنده معلومات ـ على الأقل ـ عن راكب الموتوسيكل.

كان «تختخ» مستغرقًا في التفكير لا يكاد يشارك في النقاش الدائر فالأسماء التي في النوتة.. والمبالغ المكتوبة أمامها ذكرته بما يشاع عن تهريب العمال المصريين إلى «اليونان» بدون تأشيرات دخول.. وبعضهم عاد.. وبعضهم مات غرقًا في البحر.. وبعضهم تم تضليله فوجد نفسه على جزيرة «نلسن» أو على الشاطئ الشمالي «للإسكندرية».

ثم تداعت أفكاره إلى «أم شلبي» وزوجها الغائب منذ ثلاثة أشْهُر دون أن تتلقى منه خبرًا.. وكان بقية المغامرين قد انصرفوا إلى لعبة «البينج بونج» والجري في الحديقة.

فجأة خطرت في رأس «تختخ» فكرة الذهاب إلى «أم شلبي» وسؤالها عن اسم زوجها؛ فلعله موجود في النوتة.. ولعل المبالغ المكتوبة أمام الأسماء هي ما يدفعه هؤلاء العمال البسطاء إلى المعلم «القصاص» لتهريبهم إلى «اليونان» وغيرها من دول شمال «البحر الأبيض المتوسط».

أشار «تختخ» إلى «نوسة» إشارة خفية.. فتبعته وخرجا معًا وقد أخفى «تختخ» النوتة في جيبه وأبقى النقود في الڤيلّا خوفًا من ضياعها.

عندما أصبحا وحيدين قال «تختخ»: سنذهب إلى منزل «أم شلبي»!

نوسة: لماذا؟

تختخ: أريد أن أسألها عن اسم زوجها!

قالت «نوسة» على الفور: قد يكون بين الأسماء التي في النوتة!

تختخ: أنت كالعادة ذكية يا «نوسة»!

نوسة: وماذا ستفعل إذا وجدنا الاسم في «النوتة»؟

تختخ: لا تَسْتَبِقِي الأحداث.. لنعرف أولًا..

سارا مسرعين ولم يكن المنزل بعيدًا فوصلا بعد دقائق.. كانت الفتاة الجميلة «سلمى» تجلس أمام الباب و«شلبي» الصغير يجري وراء كرة قديمة مصنوعة من القماش.. ولكن «أم شلبي» لم تكن موجودة.

ابتسمت «سلمى» عندما شاهدت «تختخ» و«نوسة» وفرحت وهي ترحب بهما.

قال «تختخ»: أين والدتك يا «سلمى»؟

سلمى: ذهبت إلى السوق لشراء بعض الطعام!

نوسة: ومتى تعود؟

سلمى: بعد قليل!

تختخ: تعرفين اسم أبيك يا «سلمى»؟

سلمى: نعم أعرفه.. اسم أبي: «سلامه أحمد الفأر»

نظر «تختخ» إلى «نوسة» وقد جاءت لحظة التوتر التي

تسبق المغامرة.. فلوكان اسم «سلامة» موجودًا في النوتة فقد بدأت المغامرة.

ناول «تختخ» النوتة إلى «نوسة» التي أخذت تقلب الصفحات ولم يستمر تقليبها طويلًا فقد عثرت في الصفحة الثالثة من النوتة على اسم «سلامة».

وخفق قلب «نوسة».. واندفعت الدماء إلى وجهها.. وأدرك «تختخ» أنها عثرت على الاسم.. وتبادلا النظرات.. ولكن لم يتكلما؛ فقد تتدخل «سلمى» بالأسئلة؛ فهي رغم صغر سنها تبدوذكية.

قال تختخ: اسمعي يا «سلمى»... قولي لوالدتك إننا سنعود في المساء لمقابلتها.

سلمى: هل هناك شيء؟

تختخ: خير بإذن الله.

وابتسم «تختخ» و«نوسة» «للشلبي» الذي كان منهمكًا في الجري وراء الكرة هنا وهناك.

عندما سار «تختخ» و«نوسة» مبتعدين عن المنزل المتهالك قالت نوســة: ما رأيك؟

تختـخ: إنها ليست مسألة رأي.. الأمور واضحة!

نوســة: كيف؟

تختـخ: إن غياب «سلامة» له علاقة وثيقة بصاحب هذه النوتة.

نوســة: أتعني أنه مخطوف؟

تختـخ: لا.. فلا أحد يتم اختطافه بإرادته!

نوســة: إذن... ماذا حدث؟

تختـخ: ما حدث يمكن أن يكون كارثة.. فقد يكون «سلامة» ضمن الذين غرقوا في البحر كما نقرأ في الجرائد!

نوســة: والاحتمال الآخر؟

تختـخ: أن يكون محبوسًا في مكان ما.. ولا يستطيع العودة!

ساد الصمت بين «تختخ» و«نوسة» حتى وصلا إلى الفيلا التي ينزل بها الأصدقاء.

استقبلهم بقية المغامرين و«زنجر» بالصياح: أين كنتما؟

نوســة: كنا نبحث عن «سلامة» !

لوزة: من هو «سلامة»؟

تختخ: ستشرح لكم «نوسة» الموقف!

أخذت «نوسة» تشرح للمغامرين قيامها بزيارة «أم شلبي» مع «تختخ» وحصولهما على معلومات مهمة هي وجود اسم «أبوسلمى» و«شلبي» ضمن الأسماء الموجودة في النوتة السوداء.

لوزة: وماذا يعني هذا؟

نوسة: يعني يا «لوزة» أن هناك من يعرف مصير «سلامة» .. إنه صاحب النوتة!

لوزة: وكيف نصل إليه؟

تنهدت «نوسة» وهي تقول: أسئلة كثيرة منك يا «لوزة» ما زال أمامنا وقت طويل وجهد كبير للوصول إلى صاحب هذه النوتة وعلاقته بهذه الأسماء الموجودة فيها، ثم مصير «سلامة» ذاته.

في هذه اللحظة وصل «سامي» ابن خال «محب» و«نوسة» وسألهم كيف قضوا يومهم.

قال تختخ: يبدو أننا لن نقضي إجازة هادئة!

سامي: هل هناك أي مشكلة؟

تختخ: هناك ألف مشكلة!

سأل «سامي» بلهفة.. ياه.. ألف مشكلة!

تختخ: هل تعرف شخصًا يركب موتوسيكل من طراز «هارلي» في «أبوقير»!

تغير وجه «سامي» لهذا السؤال فتمهل قليلًا في الإجابة ثم قال: يمكن أن نقول إنني أعرفه ولا أعرفه!

لوزة: هذا لغز!

سامي: أعرفه.. بل يعرفه سكان «أبوقير» كلهم تقريبًا، ولكننا لا نعرف من هو ومن أين يأتي؟ وإلى أين يذهب؟

تشوق المغامرون بعد هذه الكلمات لمعرفة حكاية راكب الموتوسيكل!

صمت «سامي» لحظات ثم قال: هل رأيتم هذا الشخص؟

تختخ: نحن رأيناه.. ولكن لم نر وجهه.. فقد كان يلبس خوذة سوداء مما يستخدمها راكبو الموتوسيكلات!

سامي: هذه هي المشكلة فلم ير أي شخص وجه هذا المجهول الذي يشبه الشبح فهو يلبس «تريننج سوت» أسود.. ويضع خوذة سوداء على رأسه ولا يخلعها أبدًا.. ويظهر في أوقات غريبة.. أحيانًا في الصباح الباكر وأحيانًا في الليل، وفي جميع الأحوال يظهر فجأة ويختفي فجأة.. ولكن لماذا التساؤل؟

روى «تختخ» «لسامي» ما حدث في الصباح، ومد يده بالنوتة إلى «سامي» الذي أخذ يتفحصها لحظات ثم قال: هذه حكاية خطيرة!

تختخ: كيف؟

سامي: بعض هذه الأسماء لأشخاص اختفوا منذ أشهر أو أسابيع..

تختخ: وهل أبلغتم الشرطة بما حدث؟

سامي: طبعًا.. وهم يحاولون الوصول إلى من خلف اختفاء هؤلاء الأشخاص!

تختخ: وكيف يختفون؟

سامي: يقال إن هناك شركة لتسفير العمال إلى البلاد المجاورة مثل «ليبيا» و«السعودية»، وبعضهم يذهب شمالًا إلى «أوروبا»!

تختخ: ولماذا لم تقبض الشرطة على أصحاب هذه الشركة؟

سامي: ما أعلمه أنهم حققوا معهم ولم يجدوا ما يثبت شيئًا ضدهم.

تختخ: هذه قصة عجيبة!

سامي: ثم إن هذه الشركة تنقل مقرها بين حين وآخر بحيث لا تستطيع الشرطة متابعتهم.

ساد الصمت ثم قال «سامي» بعد قليل: ولكن هذه اللفة السوداء وهذا المال الكثير والمفاتيح ربما تكون أدلة قوية تساعد رجال الشرطة في عملهم!

سامي: سأتصل بالرائد «زياد» ونذهب لمقابلته!

قام «سامي» بالاتصال بقسم شرطة «أبوقير» وبعد محاولات استمرت طويلًا علم أن الرائد «زياد» في مهمة سيعود منها غدًا!

سامي: دعونا نبحث أمور الغداء!

محب: نريد أن نأكل سمكًا!

سامي: لا بد أن نذهب إلى سوق السمك أو «البحر الميت» لشراء السمك!

لـوزة: هل هناك بحر مات!

سامي: اسمه هكذا!

لـوزة: لماذا.. من الذي أماته؟!

(٥)
لماذا مات؟!

قرر المغامرون الخمسة و«سامي» أن يذهبوا إلى السوق ثم «البحر الميت» مشيًا على الأقدام.. كان المغامرون يريدون مشاهدة معالم المدينة التي تتغير كل يوم!!

لم تكن المسافة بعيدة.. خرجوا من «التقسيم الجديد» الذي يعيشون فيه إلى المدينة القديمة مـرورًا بالطريق الرئيسي.. كانوا سعداء؛ فالجو نصف شتوي ونصف صيفي.. والناس تجري هنا وهناك وأكثرهم من الصيادين.. والسيارات تقطع الطرق مسرعة.. وهم في سعادتهم بالفسحة لم يلاحظوا أن هناك عيونًا ترقبهم منذ خرجوا من الڤيلَّلا.. وتسير خلفهم وهم يتحدثون ويضحكون.. وفجأة قالت لـوزة: لماذا يا «سامي» أطلقوا اسم «البحر الميت» على هذا الجزء من البحر؟!

سامـي: الحقيقة لا أعرف بالضبط.. ولكن أكثر الناس

يقولون إنهم سموا الجزء الأيمن من البحر باسم «البحر الميت» لأنه بحر بلا أمواج!

نوسة: تسمية معقولة.. كما أن هناك بحرًا يسمي «البحر الميت» أيضًا ولكن في «الأردن»، وهو شديد الملوحة وليس به أي نوع من الأحياء!

لوزة: بقي سؤال آخر!

عاطف: يكفي أسئلة يا «لوزة»!

لوزة: وكيف نتعلم إذا لم نسأل؟!

سمي: اسألي ياستي!

لوزة: لماذا سموا هذه المنطقة «أبوقير»؟

فكر «سامي» لحظات ثم قال: هذا السؤال يحتاج إلى إجابة طويلة.. من الأفضل أن نبقيها حتى نعود للفيللا!

صاح «محب»: خلاص.. نحن لسنا في مدرسة يا «لوزة»!

كادت «لوزة» تبكي لما قاله «محب».. ولكن «تختخ» قل وهو يربت على كتفها: ولا يهمِّكْ يا «لوزة» إن ما يقوله «محب» هو مجرد هزار.

اقتربوا من سوق السمك.. وكان واضحًا أنهم تأخروا فلم يبق إلا كميات قليلة من السمك في المحلات أو العربات الصغيرة المتناثرة في السوق!

سامي: للأسف.. لقد تأخرنا.. وربما يكون هذا السمك ليس طازجًا!

تختخ: ولكني سأموت من الجوع!

سامي: سأقترح عليكم أن نتناول الطعم على شاطئ البحر الميت!

تختخ: هذا اقتراح عظيم!

اجتازوا السوق.. وانحدروا إلى شاطئ «البحر الميت» الذي كان فعلًا بحرًا بلا أمواج.. وقد تناثرت على شاطئه سفن الصيد ومحلات بيع السمك بالجملة ويسمونها «الحلقة».. وبعض المطاعم التي تقدم السمك مطهوا بمختلف أشكال الطهي أو الطبخ.

واختار «سامي» مطعمًا يعرف صاحبه وقد وضعت الموائد على رمال الشاطئ وانتشرت رائحة السمك الشهية.

قال «سامي»: اسمحوا لي أن أختار لكم الطعام!!

تختخ: طبعًا.. طبعًا.. ولكن بسرعة!

نوسة: وأن يكون في حدود الميزانية!

سامي: لا تشغلوا بالكم بالفلوس.. فقد ترك لي أبي قبل سفره مبلغًا طيبًا لأنفقه على ضيافتكم!

ظهر صاحب المطعم وهو شاب جميل الطلعة مبتسم في طيبة.. أَنِسَ إليه الأصدقاء.. ورحب «رجب» صاحب المطعم بالضيوف ثم سأل عن طلباتهم.

سامي: نريد سمكًا طازجًا.. ولا يهم النوع!

الشاب: «الطوبارة» طازجة من البحر الآن!

سامي: عظيم.. أرز بالجمبري وسلطة طحينة وطُرْشِي.

الشاب: تمام.

كان «زنجر» يجري هنا وهناك سعيدًا بهذا الجو وهو يتشمم رائحة السمك في نشوة.. ثم جرى مسافة بعيدة حتى غاب عن بصر الأصدقاء.. وعاد وهو يعوي بطريقة عجيبة..

تختخ: مالك يا «زنجر»؟.

أخذ «زنجر» يرتجف و«تختخ» يربت عليه.. وقالت «نوسة»:

ـ أظن أن أنفه الحساسة شمت شيئًا مثيرًا!

وصمت الجميع، وأخذوا ينظرون إلى قرص الشمس التي بدأت رحلة المغيب.. وألقت بأضوائها الحمراء على «البحر الميت» فبدا كأنه بحر من الدماء.

جاءت أطباق الطعام، وانهمك الجميع في تناول السمك اللذيذ وقد انشغلوا عن مشكلة «زنجر»..

استغرق تناول الطعام بعض الوقت وغابت الشمس وبدأ الجو يبرد.. ولكن الطعام اللذيذ أنساهم الرياح الباردة التي بدأت تهب.

بعد الطعام أحس الجميع بالبرد.. فالدماء كلها ذهبت إلى المعدة ويشعر الواحد بالبرد في هذه اللحظات وفعلًا قالت «لوزة»: أنا بردانة!

سامي: وأنا أيضًا!

وردد الجميع نفس الجملة ما عدا «تختخ» فقال «عاطف» ضاحكًا: إن «تختخ» ضد البرد.

اِحْمَرَّ وجه «تختخ» وهو يقول: أحيانًا هناك فوائد للسمنة!

نوسة: أنت لست سمينًا يا «تختخ».. أنت ضخم فقط!

فجأة أخذ «زنجر» ينبح في اهتياج.. وكان الطعام قد أنسى المغامرين مشكلة «زنجر» فقلت «نوسة»، إنه جائع طبعًا!

تختخ: معك حق.. لقد نسينا إطعامه والكلاب لا ترحب بالسمك.. بعكس القطط!

محب: هيا بنا!

دفع «سامي» الحساب وشكروا صاحب المطعم ثم انطلقوا عائدين وفي السوق وعند أحد الجزارين قامت «نوسة» بشراء اللحم المفروم من أجل «زنجر» ..

لم يكن «زنجر» جائعًا فقط.. كان يشعر بما لم يشعر به المغامرون، إنهم متبوعون بعيون شريرة تراقبهم.

ساروا جميعًا وقد بدأ البرد يشتد.. فأخذوا يجرون حتى تندفع الدماء في عروقهم ويستمتعون بالدفء.. وفي أثناء الجري قالت «لوزة»: بأنفاس متسارعة: أين وضعنا اللفة السوداء؟!

تختخ: أنا الذي أخفيتها!

لوزة: ليست معكَ؟

تختخ: لا.. إنها في الڤيلَّا!

لوزة: لماذا لم تحضرها معك؟!

تختخ: خشيت أن تسقط مني في الطريق.. أوتسرق وبها مبلغ كبير من المال!

نوسة: ليس المهم المال يا «تختخ».. المهم المعلومات!

أحس «تختخ» بنوع من التوتر.. وأسرع في الجري أكثر حتى وصل إلى الڤيللا قبل الجميع ولكنه اضطر إلى الانتظار حتى يصل «سامي» الذي يحمل مفتاح البيت.

تختخ: سامي.. سامي!

سامي: نعم!

تختخ: افتح بسرعة!

«سامي» مبتسمًا: لماذا أنت متعجل.. هل تريد أن تأكل مرة أخرى!

تختخ: آكل إيه يا «سامي» .. اللفة!

سمع جميع الأصدقاء الحوار فقلت «لوزة»: قلبي يحدثني أن اللفة قد طارت!

عاطف: هل لها أجنحة!

وقد صدق حس «لوزة» فعندما دخل «تختخ» مسرعًا إلى المطبخ حيث وضعها على المائدة هناك لم يجد اللفة

مكانها.. كان قد أضاء النور بعد أن هبط الظلام.. ولكن المائدة كانت خالية.

قال محب: ليست موجودة!

تختخ: ليست موجودة!

عاطف: هل أنت متأكد!

تختخ: نعم.. لقد وضعتها هنا!

كان «سامي» صامتًا يحدق في نافذة المطبخ المفتوحة ثم سأل: هل فتح أحدكم نافذة المطبخ؟

كان رد الجميع: لا!

سامي: إذن فهناك من فتح النافذة ودخل!

تختخ: وسرق اللفة السوداء!

صمت الجميع وقالت «نوسة»: دعونا نبحث عن اللفة في الڤيلّا كلها فقد يكون «تختخ» قد نسي أين وضعها!

سامي: أرجو ألا يكون اللصوص سرقوا شيئًا آخر.. فهناك أشياء ثمينة ومهمة في الڤيلّا!

انتشر المغامرون الخمسة في أرجاء الڤيلّا يبحثون بينما بقي «زنجر» قابعًا يزمجر في حزن.. ولا أحد يدري لماذا يزمجر عندما قالت «لوزة»: إن «زنجر» جائع!

نوسة: ياه.. لقد نسيت!

وأسرعت «نوسة» إلى المطبخ وقامت بإعداد وجبة شهية من اللحم المفروم لـ «زنجر» ووضعتها أمامه.. ولكن لذهول الجميع لم يتقدم «زنجر» لتناول طعامه!

تختخ: شيء غريب!

محب: لعل نوع اللحم لم يعجبه!

عاطف: ربما يفضل الكباب والكفتة!

نوسة: ليس هذا وقت الهزار يا «عاطف»!

تختخ: ما هي الحكاية بالضبط!

لوزة: لعلكم لاحظتم أن «زنجر» ظل طول الطريق يزمجر ويعوي!

فجأة اندفع «زنجر» وقفز فوق مائدة الطعام، ومنها قفز إلى النافذة المفتوحة ثم ألقى بنفسه خارج الڤيلّا..

صاح الجميع: زنجر.. زنجر!

كان «محب» أسرع الجميع ففتح باب الڤيلّا ثم ذهب في اتجاه النافذة المفتوحة.. عبر الحديقة وأخذ ينادي: زنجر.. زنجر!

ولكن «زنجر» كان قد اختفى في الظلام.

(٦)
ليلة الخطر

خرج الجميع إلى الحديقة وأضاءوا أنوارهم وأخذوا يبحثون عن «زنجر» وهم ينادون عليه.. ولكن «زنجر» اختفى.. وفي الظلام الذي هبط بقوة.. ولون «زنجر» الأسود.. أصبح مستحيلًا رؤية الكلب.. وهكذا أخذوا ينادون عليه!

وقال «سامي»: إن باب الحديقة مفتوح، وقد أغلقته بنفسي عند عودتنا!

عاطف: معنى هذا أن «زنجر» فتح الباب وخرج!

لوزة: وماذا سنفعل؟

سامي: دعونا ننتظر عودته!

لوزة: لا أستطيع الانتظار.

محب: سنخرج جميعًا للبحث عنه.

نوسة: أين؟

محب: في المنطقة المحيطة بالڤيلّلا!

كان «تختخ» صامتًا طول الوقت.. ولاحظ المغامرون هذا فقالت «نوسة»: لماذا أنت صامت يا «تختخ»؟!

تختخ: أعتقد أن «زنجر» قد ذهب بعيدًا!

نوسة: أين؟

تختخ: لا أدري.. ولكن في الأغلب أنه يسير خلف رائحة اللفة السوداء!

عاطف: أو وراء من سرقوا اللفة السوداء.

تختخ: فعلًا.. وهذا يعني أنه معرض لخطر شديد.

محب: لنحضر البطاريات ونخرج للبحث عنه.

سامي: أين؟

تختخ: سيعطي لنا «زنجر» إشارة.. فهويعرف الآن أننا سنبحث عنه.

سامي: أي إشارة؟

تختخ: سوف ترى!

أحضروا البطاريات الصغيرة التي يحتفظون بها لاستخدامها حسب الظروف وخرجوا جميعًا إلا «عاطف»

و«سمير». فقد رأى «تختخ» أن يبقيهما فقد يعود «زنجر» أو يعود اللصوص لسبب أو لآخر.. وأخذ «تختخ» معه «تموين» وقت لـ عطف».

إذا ظهر «زنجر» أو حدث شيء فاتصل بي.

وخرج «تختخ» و«محب» و«نوسة» و«لوزة» .. قال «تختخ»: اذهب يا «محب» مع «نوسة» في اتجاه البحر.. وسنذهب أنا و«لوزة» في الاتجاه الآخر.

تكثف الظلام، وازدادت سرعة الرياح الباردة.. كان الجميع يعرفون أن المهمة ليست سهلة.. ولكن «تختخ» كان يدرك أن كلبه الذكي سيجد وسيلة للاتصال بهم.. وقد صدق ظنه فبعد نحو ساعة من السير في اتجاه «البحر الميت» سمع «تختخ» و«لوزة» صوت كلبه العزيز بين الأصوات النابحة وهكذا أسرعا جريًا في اتجاه النباح وهم ينيران أضواء كشافيهم لتبديد الظلمة المتكاثفة.

أخيرًا وصلوا إلى مصدر النباح.. كان هناك سور من السلك الشائك تقف خلفه مجموعة من الكلاب المتوحشة تنبح بشدة وكان «زنجر» يقف خارج السلك يبادلها النباح.. وأسرع «زنجر» إلى «تختخ» يلف حوله ثم يعود للنباح في مواجهة الكلاب المتوحشة

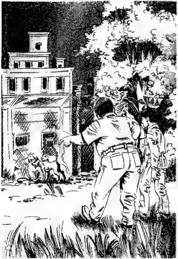

أخذ «تختخ» يربت على ظهر «زنجر» الذي كان يرتعد بشدة.. ثم قال: تعال يا «زنجر».. ماذا تفعل هنا؟

كانت «لوزة» تقف وقد انتابتها رعشة قوية من البرد ومن نباح الكلاب المتوحشة فقالت وهي ترتجف: هيا بنا يا «تختخ» فهذا المكان غير آمن!

ولم تكد تنتهي من جملتها حتى سمعا صوت «موتوسيكل» يقترب فأسرعا بالاختباء خلف شجرة ضخمة، وأخذ «تختخ» يهدئ «زنجر» حتى لا ينبح!

ظهر «الموتوسيكل» الضخم تسبقه أنواره القوية، واتجه إلى حيث الكلاب النابحة وأخذ ينهرها ويطالبها بالسكوت ثم دار دورة واسعة وأضواء «الموتوسيكل» القوية تكشف كل ما حولها.

انكمش «تختخ» و«لوزة» خلف الشجرة وكان «تختخ» يضع يده على رأس «زنجر» الذي كان يرتعد حتى لا ينبح فيكشف وجودهم في هذا المكان الموحش.

دار «الموتوسيكل» مرة أخرى ثم اتجه إلى مكان في السور، وانفتح باب من الحديد أصدر صريرًا عاليًا، ودخل «الموتوسيكل» وأضاءت أنواره عدة أكواخ متناثرة بينها كوخ كبير، وظهرت أشباح سيارات واقفة وأشخاص يتحركون هنا وهناك.

ساد الصمت إلا من صوت الرياح.. وتسلل «تختخ» و«لوزة» و«زنجر» عائدين إلى الفيلَّا، ودق جرس المحمول في يد «تختخ» وكان المتحدث هو «عاطف» .. سأل «تختخ» عن الأحوال فقال «تختخ»: لقد عثرنا على «زنجر»!

عاطف: الحمد لله!

تختخ: المهم هل عاد «محب» و«نوسة»؟

عاطف: لا!

تختخ: هذه مشكلة.. بعد أن عثرنا على «زنجر» أصبحنا مضطرين للبحث عن «محب» و«نوسة»!

أغلق «تختخ» «الموبايل» وقال موجهًا حديثه إلى «زنجر»:

ـ الآن بعد أن عثرنا عليك.. أنت مطالب بأن تجد لنا «محب» و«نوسة»!

قالت «لوزة» في الظلام: ما الذي جعل «زنجر» يأتي إلى هذا المكان المخيف؟

تختخ: الرائحة.. لقد تتبَّع رائحة اللفة السوداء التي سرقها اللصوص وجاءوا بها إلى هذا المكان!

لوزة: ولكنهم ليسوا لصوصًا!

تختخ: كيف؟

لوزة: إنهم أصحاب اللفة السوداء.. وقد استعادوها!

تختخ: لقد أصبحت من فقهاء القانون يا «لوزة»!

لوزة: ليس لنا عندهم شيء!

تختخ: لقد اقتحموا الفيلّلا!

لوزة: ليستردوا ما يخصهم!

تختخ: كان عليهم إبلاغ الشرطة وليس كسر النافذة والدخول منها!

سكتت «لوزة» عن الكلام ولكنها بدأت في العطس.. لقد عصفت الريح بجسدها الضئيل.. وأحس «تختخ» أنه مسئول عما حدث فخلع «الجاكت» الخفيف الذي يلبسه ووضعه على كتفيها، وأمسك بيدها، وأسرعا وخلفهما «زنجر» إلى الفيلّلا.

عندما وصل الثلاثة إلى «الفيلّلا» كانت «نوسة» و«محب» قد عادا أيضًا بعد أن فشلا في العثور على «زنجر» الذي كان في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي سارا فيه.

وما كاد «تختخ» و«لوزة» و«زنجر» يدخلون حتى انهالت الأسئلة من كل جانب.. ولكن «تختخ» قال لـ «نوسة»: من فضلك يا «نوسة» خذي «لوزة» إلى الفراش وعليها أن تستبدل ملابسها وتدخل تحت الأغطية فورًا. ثم التفت إلى «سامي» وقال: أعتقد أننا جميعًا في حاجة إلى أكواب من الشاي.

كان المطر قد بدأ يهطل بشدة وقال «تختخ»:

ـ الجو متقلب هذه الأيام!

محب: كيف وجدتما «زنجر» !

روى «تختخ» ما حدث وكيف وجدا الكلب الأسود الشجاع عند الأسلاك الشائكة والمباني التي وجدوها في المنطقة الجرداء عند ساحل «البحر الميت».. وهنا قفزت أسئلة كانت على ألسنتهم جميعًا: كيف عرف اللصوص بوجود اللفة السوداء في الفيلّلا؟ وهل هناك علاقة بين هؤلاء اللصوص ورجل «الموتوسيكل»؟ وهل لهم علاقة بمعسكر الأسلاك الشائكة؟

هز «تختخ» رأسه وقال: دعونا نفكر بهدوء.. ونطمئن على «لوزة» أولًا!

دخلوا جميعًا إلى الغرفة التي تنام فيها «لوزة» و«نوسة».. وحملوا إليهما الشاي، وكانت «لوزة» تحت البطاطين السميكة تبدو مثل فراشة صغيرة تحت ورق الشجر.

وقبل أن ينطق أحد قالت «لوزة»: سمعتكم تتحدثون في الخارج.. أريد أن أعرف عمَّ كنتم تتحدثون؟

وقبل أن يرد أحد استمرت «لوزة» في الحديث: أريد أن أعرف كيف وصل اللصوص إلى الڤيلَّلا؟!

ابتسم الجميع وقال «محب»: أنتِ مريضة.. وليس من حق المرضى أن يسألوا!

ضحك المغامرون وقالت «لوزة»: هل المرض يمنع السؤال!!

تختخ: على مَهْلِكِ يا «لوزة» .. فعلًا هذا هو السؤال المهم في هذا الموضوع.. ونريد أن نسمع آراءكم جميعًا!

صمت الجميع ثم قال «تختخ»: اسمحوا لي أن أبدأ بالإجابة وإذا لم تقتنعوا بإجابتي فليقدم كل منكم اقتراحاته!

هزوا جميعًا رءوسهم وقال «سامي»: هذه أول مرة أحضر فيها اجتماعًا للمغامرين؛ وهي متعة حقيقية لي حتى أعرف كيف تفكرون.

أغمض «تختخ» عينيه قليلًا ثم قال: لقد عرف اللصوص مكان اللفة السوداء من «أم شلبي»!

ارتفعت أصوات المغامرين وهم يقولون: كيف؟!

تختخ: أتصور أنه عندما فقد رجل «الموتوسيكل» اللفة السوداء وأخبر زملاءه فإن الحل هو سؤال الجيران الساكنين قرب الشاطئ عنها.. وبالطبع قال الجميع إنهم لم يروا هذه اللفة حتى وصلوا إلى منزل «أم شلبي» باعتبار أنهم يعرفونها جيدًا لأنها زوجة الرجل الذي خرج ولم يعد!

نوسة: وأن اسمه كان موجودًا في النوتة التي كانت في اللفة!

تختخ: هذا صحيح.. ولعلهم سألوا أهل جميع الأشخاص الموجودة أسماؤهم في النوتة!

محب: إذن فهؤلاء اللصوص يعرفون أننا نعرف عنهم الكثير!

تختخ: إنهم ليسوا لصوصًا فقط.. إنهم أخطر من هذا بكثير!

لوزة: هذا يعني بداية لغز جديد!

نوسة: لغز ماذا يا «لوزة» نحن في خطر شديد!

(٧)

بِسارْيَة

عندما اجتمع المغامرون الخمسة ومعهم «سامي» .. كان واضحًا أن «تختخ» يحمل أخبارًا مهمة.. وأن ما هم مقبلون عليه قد يكون أكبر من إمكانياتهم.

قال «تختخ»: إننا أمام عصابة قوية منظمة.. وراكب الموتوسيكل ليس أهم من فيها.. إنهم يعيشون في معسكر مغلق كأنه قلعة حربية محاط بالأسلاك الشائكة ويحرسه كلاب شرسة من نوع «دوبرمان» و«روديفلر» مدربة ومتوحشة ولا يمكن التعامل معها!

بدا الاضطراب على «لوزة» وقالت: ما علينا إلا إبلاغ الشرطة ونترك الحكاية!

محب: أنت تتركين لغزًا بلا حل يا «لوزة»؟!

نوسة: أظن أن «لوزة» تريد فقط لفت أنظارنا إلى أننا قد نصبح في خطر شديد إذا حاولنا التدخل!

تختخ: تعالوا نعيد ترتيب أفكارنا.. لقد جئنا في إجازة نريد أن نقضيها في هدوء، ولكن المصادفات وضعتنا أمام مهمة إنسانية هي البحث عن الرجل الغائب، والد صديقنا الصغير «شلبي».

وتنهد «تختخ» وقال: وشاءت الصدفة أيضًا أن تعثر «نوسة» على اللفة السوداء ونجد اسم الرجل الغائب فيها مع أسماء آخرين!

عاطف: يعني لولا «نوسة» لكنا الآن نستمتع بالإجازة!

نوسة: ما زلنا قادرين على الاستمتاع بالإجازة إذا نسينا المسألة كلها وتركناها في أيدي رجال الشرطة.

محب: ولكن هل ستتركنا العصابة بعد أن كشفنا أسرارها وعرفنا مقرها!

تدخل «سمي» في الحوار لأول مرة وقال: أريد أن أقول لكم إن هذا المعسكر معروف لرجال الشرطة ولسكان «أبوقير» كله!

لوزة: ليس معسكرًا سريًا!

سامي: إنها مزرعة للسمك يملكها المدعو«القصاص» وآخرون لتربية الأسماك الفاخرة مثل «الحنشان»

أي ثعابين الماء و«القاروص».. وذلك لتصديرها إلى «أوروبا»، وتأتي سفن ثلاجات لأخذ حصيلة الصيد كل فترة!

عاطف: سمك مثلج!

سامي: أحيانًا سمك حي يوضع في فناطيس ضخمة محملة فوق السفن تؤخذ إلى «أوروب».. أو إذا كانت الأسماك قد ماتت يتم تنظيفها ووضعها في الثلاجة ثم تُرْسَل إلى «أوروبا»!

محب: «هولندا» فقط!

سامي: لا أعرف.. ربما إلى دول أخرى، ولكنها مشهورة باسم المزرعة الهولندية!

تختخ: ومن الذي يعمل في هذه المزارع؟

سامي: صيادون من مختلف مناطق البلاد.. منهم من يأتي من «بلطيم» أو«المطرية دقهلية» أو من «بحيرة قارون»، ولكن أكثرهم من صيادي «أبوقير»!

تختخ: صيادون فقط؟

سامي: صيادون وبحارة وأولاد يعملون في تنظيف السمك!

ساد الصمت بعد هذه الجملة، ونظر الجميع إلى «تختخ» وعرفوا ما يفكر فيه!

محب: هل أستطيع العمل مع هؤلاء الأولاد؟

سامي: صعب.. إنهم يحتاجون إلى أولاد أقوياء يجيدون استعمال السكاكين والسواطير!

مرة أخرى نظر المغامرون إلى «تختخ» الذي قال: إنني أجيد هذه الأعمال!

سامي: كيف؟

تختخ: عندما كنت أذهب مع والدي لشراء السمك كنت أتفرج على الأولاد الذين ينظفون السمك.. وأحيانًا كنت أطلب من أبي أن نأخذ السمك بلا تنظيف وأقوم أنا بتنظيفه في البيت.. وكانت والدتي تشجعني كثيرًا!

سامي: ماذا تقصد؟

تختخ: أقصد أنني سأسعى للالتحاق بهذه المزرعة! فأنا أريد أن أعرف ماذا يدور فيها، ولماذا هذه الأسوار والكلاب المتوحشة؟!

سامي: ولكن شكلك وملابسك لا تتناسب وهذا العمل.. وقد يتشككون فيك!

تختخ: دعك من هذا، فأنا أجيد التنكر، وما أحتاجه هو بعض الملابس القديمة!

سامي: هذه يمكن تدبيرها من السوق.. ولكني أخاف عليك!

لوزة: إنني أعترض!

نوسة: وأنا أعترض!

محب: وأنا أيضًا!

عاطف: وأنا معكم!

ساد الصمت بعد هذا الحوار الساخن وقال تختخ: أشكركم ولكن دعوني أجرب.. والمعسكر ليس بعيدًا من هنا.. ومعي «الموبايل» سوف أخفيه في طيات ملابسي.. وإذا تعرضت لأي مشاكل فسوف أتصل بكم!

سامي: إن عندي موبايل أيضًا سوف أبقيه مفتوحًا طوال الوقت!

تختخ: إذن متى نبدأ؟

سمي: غدًا صباحًا ننزل السوق لشراء الملابس!

تختخ: وكيف أتقدم للعمل؟

سمي: في كل صباح يتجمع عدد من الأولاد أمام المزرعة للعمل، ويقوم أحد العاملين بالمزرعة باختيار الأولاد الأقوياء للعمل!

لوزة: إنني خائفة يا «تختخ» فقد تتعرض للخطر!

تختخ: لقد تعرضنا كثيرًا للخطر.. ولكننا ما زلنا نقوم بالمغامرات!

* * *

في الصباح قام «تختخ» و«سامي» بالذهاب إلى السوق واستطاعا شراء بنطلون قديم وقميص ممزق وحذاء بَالٍ بمبلغ زهيد ثم عادا إلى الڤيللا.. ودخل «تختخ» الحمام وغاب نحو نصف ساعة ثم خرج إلى المغامرين الذين ما إن شاهدوه حتى صاحوا جميعًا في صوت واحد: مدهش!

كان «تختخ» قد استعان بسناج (هباب) حِلَل الطبيخ ولَوَّن وجهه، ثم قام بنعكشة شعره، ولون يديه، وحينما ارتدى الملابس البالية بدا فعلًا مثل صبي متشرد لا يجد ما يفعله!

بعد الإفطار خرج الجميع لتوديع «تختخ» الذي أشار إليهم بالعودة، ثم اتجه إلى المزرعة، وقد أخذ بعض التراب فأهاله على ثيابه حتى بدا في حالة يرثى لها!

عندما وصل إلى باب المزرعة وجد نحو عشرة أولاد في مثل سنه يقفون أمام الباب!

كان وجه «تختخ» غير مألوف بالنسبة لبقية الأولاد الذين كانوا يعرف بعضهم بعضًا، وأحس «تختخ» أن موقفه دقيق، وسرعان ما تقدم من أحد الأولاد وقال: أنت «إبراهيم»!

قال الولد: أنا لست «إبراهيم»!

قال: ألا تعرف الولد «شلبي» الذي يسكن في التقسيم الجديد؟!

الولد: هل تعرفه أنت؟!

تختخ: نعم.. وأعرف أخته «سلمى»!

ابتسم الولد وقال: إن «سلمى» صديقة أختي!

تختخ: إنها صديقتي وكذلك أمها!

الولد: مساكين.. فقد خرج أبوهم منذ زمن ولم يعد!

تختخ: نعم.. منذ ثلاثة شهور تقريبًا!

الولد: هذا صحيح.. ولكن أين كنت؟ أنا لم أرك من قبل!

تختخ: كنت أشتغل في «باب شرق»!

الولد: وما هواسمك؟!

تختخ: اسمي «توفيق»..وأنت؟!

الولد: اسمي «سيد» وشهرتي «بِسَارْيَة»!

تختخ: أنا أحب البِسَارْيَة المقلية!

الولد: تستطيع إذن أن تأكلني!

ضحك «تختخ» وقال: دمك خفيف!

الولد: وأنت أيضًا!

ظهر رجل وقام بفتح البوابة وقال: سبعة فقط!

همس «بِسَارْيَة» في أذن «تختخ»: أمسك بيدي!

تختخ: لماذا؟

بِسَارْيَة: لأنه يعرفني.. فأنا أدفع له نصف أجري!

تختخ: ياه!

بِسَارْيَة: اسمع كلامي!

أخذ الرجل يشير إلى الأولاد ويقول: أنت.. وأنت..

وأشار إلى «بِسَارْيَة» فقال «بسارية»: هذا معي!

لاحظ «تختخ» أن «بِسَارْيَة» يغمز بعينيه للرجل الذي قال على الفور مشيرا إلى «تَختخ»: وأنت!

وهكذا اجتاز «تختخ» البوابة إلى داخل المعسكر.. وهويمسك بيد «بساريه» الذي قاده إلى عنبر ضخم، علقت على جدرانه السكاكين والسواطير!

قال «بِسَارْيَة» في أذن «تختخ»: خذ سكينًا وساطورًا واتبعني!

كانت رائحة العنبر لا تطاق.. ولكن «تختخ» سار مع «بِسَارْيَة» وجلس معه أمام طاولة ضخمة رصت عليها الأسماك.. وبدأ العمل!

(٨)

العضريت!

في ذلك الوقت كان بقية المغامرين يجلسون صامتين في حديقة الڤيلّا التي انتشرت فيها أشجار الليمون والجوافة، وقد ملأت الرائحة الجميلة الجو.. وكأن «لوزة» كانت تدرك ما فيه «تختخ» فقالت: نحن نشم رائحة الليمون والجوافة والفل.. و«تختخ» الآن يشم رائحة السمك والمخازن الكريهة.

لم يعلق أحد على كلام «لـوزة» .. فقد كانوا جميعًا يشعرون أن «تختخ» وضع نفسه في مأزق لم يكن له داع.. فهم ليسوا من الشرطة ولا من المباحث ومهمتهم هي مساعدة العدالة.

* * *

أخذ «تختخ» السمكة الأولى فقال له «بسارية»: ليس هكذا تُمْسَك السمكة ثم أوضح له كيف يَمْسِك السمكة بطريقة صحيحة من ناحية الذيل، وكيف يتعامل مع القشر بالفرشاة السلك وليس بالسكين.. وكان جميع الأولاد مستغرقين في عملهم.. فلم يلاحظوا أن زميلهم الجديد «غشيم».. وفي الحقيقة لم يكن «تختخ» مهتمًا بتقشير السمك وتقطيعه.. بل كان مهتمًا بحركة الحياة والعمل في المزرعة.. وقد استطاع بسرعة أن يلاحظ أشياء ملفتة للانتباه.. فمن نهاية العنبر كانت تخرج صناديق صغيرة يحملها رجال أشداء في حقائب ثم يختفون.. ومن بعيد كان صوت آلات السفن القادمة لنقل صناديق السمك المجمد وفناطيس السمك الحي!!

كانت حركة العمل ضخمة، ولا يمكن أن يكون صاحب هذه المزرعة هذا المدعو «القصاص» فالحكاية أكبر من ذلك بكثير..

ومضت الساعات و«تختخ» منهمك في العمل.. وفي مراقبة ما يدور حوله وقد أحس بنشوة تجتاحه عندما أدرك أنه ربما يكون قد وضع يده على بعض أسرار هذه المزرعة وما يحدث فيها.. وفي منتصف النهار أحس بالجوع فقال لـ «بسَارْيَة»: أليس هناك طعام للغداء!

بسَارْيَة: لا!

تختخ: ولكنني جائع!

بِسَارْيَة: هناك بوفيه خارج المخزن للشاي والقهوة.. وقد تجد فيه بعض البسكويت ولكن ليس من المعتاد أن يذهب أحد الأولاد لشراء هذه الأشياء لأننا جميعًا مفلسون!

تختخ: معي بعض الفكة!

بسَارْيَة: جرب.. فقد تستطيع شراء شيء!

لم يكد «تختخ» يتحرك من مكانه حتى سمع صوت رجل يقول: رايح فين يا ولد؟

قال «تختخ» بسرعة: دورة المياه!

أشار الرجل بإِصْبَعِه إلى مكان في آخر المخزن وقال: هناك!

أسرع «تختخ» إلى حيث أشار الرجل.. وكان المكان كما توقع شديد القذارة.. ولم يكن هذا يهم «تختخ» بقدر ما كان يهمه ماذا وراء المخزن، ففتح النافذة وأطَل منها إلى الخارج.. وفوجئ بأن عالمًا من الحركة النَّشِطَة يدب في المكان.. أشخاص في ملابس فاخرة وسيارات وسفن رابضة في البحر تنتظر دورها في الدخول أوالخروج.. وفكر «تختخ» أن يتسلل من النافذة إلى هذا العالم المحاط

بالأسلاك الشائكة..ولكنه خشي أن يلاحظه أحد؛ فقرر العودة إلى المخزن، وانهمك في العمل من جديد وقد تعلم بسرعة كيف ينظف السمك ويقطعه بشكل دقيق وسريع!

قال «تختخ» محدثًا «بسَارْيَة»: متى ينتهي العمل؟

بسَارْيَة: حسب الكمية التي ننتهي منه.. ربما بعد ساعتين أو ثلاث ساعات أو أكثر!

تختخ: أليس هناك وقت محدد؟!

بسَارْيَة: لا.. حسب التساهيل!

بينما كان الجوع يفتك بـ «تختخ» كان بقية المغامرين يضعون أمامهم طعام الغداء، ولكن أحدًا منهم لم يمد يده ليأكل.. لقد كانوا يشاركون زميلهم الأكول الجوع دون أن يدروا.. وفجأة دق جرس «الموبايل» في يد «سامي» وكان المتحدث «تختخ» يقول: لقد انتهينا من العمل وأنا قادم، هل هناك طعام جاهز؟

سامي: نحن جالسون في انتظارك!

تختخ: سآتي جريًا!

كان «تختخ» يسير بجانب «بِسَارْيَة» خَارجَيْن من المزرعة.. وعلى الباب قال «بسارية»: تعالى نقبضَ!

اتجها إلى الرجل الذي أدخلهما في الصباح فأعطى كل ولد من الواقفين ثلاثة جنيهات!

قال بسَارْيَة: إن أجرتنا ستة جنيهات في اليوم يأخذ منها «النُّص» النصف!

ضحك «تختخ» وقال: يعني «النُّص» يأخذ النُّص!

وعندما أمسك بالجنيهات الثلاثة أحس بنشوة غريبة.. فهذه أول مرة يكسب نقودًا من عمل.. وأحس بقيمة العمل في حياة الناس.. وتذكر المثل الذي يقول: إن قيمة الانسان فيما يعمله!

عند منتصف الطريق افترق «بِسَارْيَة» عن «تختخ» ليعود إلى أسرته بالجنيهات الثلاثة.. وسار «تختخ» وحيدًا حتى فوجئ بـ «زنجر» يظهر من بعيد ويجري إليه.. وكان بقية المغامرين يقفون في انتظاره.

رفع «تختخ» الجنيهات الثلاثة وقال: فلوس.. فلوس.. أحمدك يا رب!

ضحك الجميع ودخل «تختخ» الحمام، وخلع هدوم الشغل، واغتسل وخرج إلى المائدة العامرة التي أعدتها دادة «رحمة» التي تأتي كل يوم إلى الڤيلَّلا للعمل بها!

حاصر المغامرون «تختخ» بالأسئلة، ولكن «تختخ» لم يكن عنده إجابات كثيرة.. لكنّ «نوسة» وجهت له سؤالًا مهمًّا: هل تنوي الذهاب غدًا؟!

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: لا بد أن أذهب.. فأنا لم أحصل على معلومات مهمة حتى الآن..كل ما لاحظته هوتصرفات مريبة، وأماكن ممنوع الدخول فيها!

لوزة: ولكن يا «تختخ»: أنت تعرض نفسك للخطر!

تختخ: لا تخافي يا حبيبتي.. سوف آخد حذري!

ثم التفت إلى «سامي» وقال له: سامي.. هل يمكن أن أستعير «الموبايل» الذي معك؟

سامي: طبعًا..ولكن لماذا؟

تختخ: لأنه مزود بكاميرا.. وأنا أريد أن أصور بعض الأشياء في هذا المكان المريب!

سامي: خذ حذرك يا «تختخ» فإن هؤلاء الناس اذا رأوك تصور المكان فسوف تتعرض لمخاطر لا حد لها!

تختخ: سأفعل ما بوسعي حتى لا يراني أحد!

بعد الغداء الدسم الذي أعدته دادة «رحمة» طلب «تختخ» من الأصدقاء أن يتركوه لينام، وأن يخرجوا للفسحة في «أبوقير» التي جاءوها للزيارة وليس للمغامرات.

اتفقوا على أن يلعبوا الكرة على شاطئ البحر؛ فقد كان الجو قد ابترد واحتاجوا إلى حركة سريعة لاستعادة الدفء.. وهم منهمكون في اللعب ظهر «شلبي» الصغير ومعه أخته «سلمى» ووقفا يتفرجان.. وبعد قليل انضم عدد آخر من الأولاد وأصبحت المباراة حامية.. وطلب بعض الواقفين أن يشتركوا؛ فوافق المغامرون، وزاد عدد اللاعبين وعدد المتفرجين!

وأخذت الشمس تغرب بسرعة في ذلك المساء الخريفي البارد.. ولم تعد الكرة واضحة أمام اللاعبين.. وفعلًا «شاط» أحدهم الكرة بعيدًا فاختفت بين الرمال..وانهمك الجميع في البحث عنها.. وفجأة سمعوا صوت الموتوسيكل.. وظهر الرجل ذوالخوذة.. واقترب منهم.

وقف عند «نوسة» وقال: عن أي شيء تبحثين؟

نوسة: عن الكرة!

الرجل: أم عن اللفة السوداء؟!

نوسة: من أنت حتى تسألني؟!

الرجل: من أنت حتى تأخذي ما وقع مني!

نوسة: كنت سأبحث عنك أو أسلمها لرجال الشرطة!

الرجل: الأفضل لكم ألا تتدخلوا في شئون غيركم.. وأن تنسوا حكاية الشرطة هذه!

نوسة: لماذا؟

الرجل: لا داعي لأن تسألي، فأنتم غرباء عن «أبوقير» ومن الأفضل لكم أن ترحلوا!

نوسة: سنرحل عندما نريد!

الرجل: لقد أنذرتكم!

وقبل أن تجيب «نوسة» كان الرجل قد أطلق الموتوسيكل واختفى..

التف المغامرون حول «نوسة» يسألونها عن حديثها مع الرجل فقالت: هيا نعود إلى الفيللا!

ساروا في اتجاه الفيللا.. ووجدوا «سلمى» و« شلبي» يسيران خلفهم فنادى «محب»: «شلبي».. «سلمى» .. تعاليا!

اقتربت «سلمى» و«شلبي» من «محب» وقد بدت عليهما علامات الخوف فقال «محب»: ماذا بكما؟!

ردت سلمى: خذوا حذركم من هذا الرجل!

محب: لماذا.. ومن هو؟

سلمى: لا أحد يدري.. فهودائمًا يلبس الخوذة بحيث لا يراه أويعرفه أحد! ولكن المعروف أنه عندما يظهر في مكان فمعنى ذلك أن مصيبة ستحدث!

عاطف: مصيبة!

سلمى: نعم.. إنهم يسمونه الْعِفْرِيت!

نوسة: نحن لا نخاف من العفاريت!

هزت «سلمى» رأسها وقالت: لقد سأل عنكم وعرف أنكم ضيوف!

نوسة: وماذا قلتم له؟

سلمى: قلنا إنكم ضيوف في ڤيلَّلا «سامي»!

نوسة: لا تخافي يا سلمى!

سلمى: خذوا حذركم!

ثم انسحبت وهي تمسك بيد أخيها، وكان الظلام قد هبط على «أبوقير» عندما وصلوا إلى الڤيلَّلا.. ولدهشتهم لم يجدوا «تختخ» فيها!

(٩)
الطابية الغامضة

استيقظ «تختخ» من النوم على رنين جرس الباب.. واضطر للقيام من الفراش والإسراع إلى فتح الباب لأنه وحده في البيت، وقد خرج جميع الأصدقاء.

فتح «تختخ» الباب.. ولدهشته وجد «بِسَارْيَة» زميل الشغل، وقد بدا عليه الخجل والارتباك فرحَب به «تختخ» قائلًا: تفضل!

بسَارْيَة: أرجوألا أكون قد أزعجتك!

تختخ: أبدًا.. تفضل هنا حتى أعد الشاي.

دخل «تختخ» إلى المطبخ، ووضع الماء على البوتاجاز ثم عاد إلى «بسَارْيَة» الذي بادره قائلا: لقد قلت لي إنك تسكن قرب الكَنيسة.. وسألت عم «عمران» البقال المجاور فدلني على مكانك!

تختخ: خيرًا.. هل هناك أشياء مهمة؟!

بِسَارْيَة: في الحقيقة جئت أسألك إذا كنت ستذهب إلى الشغل غدًا؟

تختخ: طبعًا!

بسَارْيَة: أحس أنك تريد أن تعرف أكثر عن عصابة «القصاص» ؟!

تختخ: أنت ولد ذكي.. ماذا عندك؟

بسَارْيَة: هل تعرف أن «القصاص» يأخذ بعض الناس ليسافروا إلى الخارج؟!

تختخ: سمعت ذلك!

بسَارْيَة: وأن بعضهم لا يعود!

تختخ: سمعت هذا أيضًا!

بسَارْيَة: وهل جئت تبحث عنهم؟

تختخ: هذه مهمة رجال الشرطة!

بسَارْيَة: ولكني أظن أنك مهتم بهذا الموضوع!

تختخ: ربما!

بسَارْيَة: أريد أن أريك شيئًا.. تعال معي!

تختخ: بعد أن نشرب الشاي!

دخل «تختخ» إلى المطبخ وأعد الشاي، ومعه بعض البسكويت وعاد إلى «بسَارْيَة»..

جلسا يتناولان الشاي، وانقض «بِسَارْيَة» على البسكويت وأخذ يأكل ويقول وفمه مملوء بالبسكويت. لقد كنت جائعًا..

تختخ: ألم تتغد بعد؟!

بسَارْيَة: عندما تركتك وعدت إلى البيت لم أجد أمي هناك!

تختخ: لا أحد في البيت؟

بسَارْيَة: نعم.. لم يعد أحد من إخوتي إلى البيت.. وأمي لم تكن موجودة!

تختخ: سأعد لك لقمة ساخنة فورًا!

بسَارْيَة: أرجوك يكفي البسكويت والشاي، وعندما أعود ستكون أمي قد أعدت الطعام!

انتهيا من شرب الشاي وخرجا.. قال «تختخ»: إلى أين؟!

بسَارْيَة: هل تسمع عن آثار «أبوقير» الغارقة؟

تحتخ: نعم.. بعضها تاريخي قديم، من أيام إنشاء مدينة «الإسكندرية» وبعضها من أسطول «نابليون» الذي غرق في ميناء «أبوقير» من نحو مائتي سنة!

بسَارْيَة: إنهم يهربون هذه الآثار!

تختـخ: من؟

بسَارْيَة: عصابة «القصاص»!

أحس «تختخ» أن حديث «بسَارْيَة» «قد أكد شكوكه في العصابة.. فليس «القصاص» هوالذي يقود كل هذا العمل الضخم!

قال تختخ: ولكن كيف عرفت بموضوع الآثار هذا؟!

بسَارْيَة: لنا قريب يعمل غطاسًا، وقد أخذه «القصاص» للعمل في «اليونان» ولكنه لم يعد.. قد علمت من أحد أولاده أن قريبي يزورهم ليلًا ثم يعود للاختفاء.. وقد حذرهم من أن يتحدثوا بهذا إلى أي مخلوق!

كانا يسيران في الظلام، ولكن «بسَارْيَة» كان يحفظ الطريق تمدمًا. وبعد سير طويل وصلَ إلى مجموعة من الأثر الحجرية الضخمة هي «الطابية».. التي كانت موجودة قديمً.

قال بسَارْيَة: تحت هذه الطابية سراديب سرية لا يعرفها إلا القليل!

تختخ: وكيف عرفت أنت؟

بسَارْيَة: حكى لي جدي أنه تاه مرة في دهاليز الطابية تحت الماء وكاد يموت!

تختخ: وهل تستخدم عصابة «القصاص» هذه الطابية؟

بسَارْيَة: كثيرًا ما نشاهد قوارب تقترب منها ليلًا.. ثم تختفي بعد ذلك مما يعني أنها دخلت في كهوف هذه القلعة!

تختخ: هذه معلومات مهمة جدًا!

ساد الصمت بين الصديقين.. وقال «تختخ»: هيا نعود حتى لايقلق أصدقائي!

سارا صامتين وقد اشتد البرد والظلام، فلما وصلا إلى الڤيلَّلا قال «بسارية»: أتركك بخير!

تختـخ: تعال تَعَشَّ معنا!

بسَارْيَة: لا.. لا بد أن أعود حتى لا تقلق أمي..

تختـخ: إذن أراك غدًا!

بسَارْيَة: هل ستأتي؟!

تختخ: نعم!

وسار «بِسَارْيَة» «مبتعدًا، ووقف «تختخ» قليلًا يفكر ثم فتح الباب ودخل فقابله المغامرون و«زنجر» بعاصفة من الصياح: أين أنت؟.

ـ هل تختفي كل يوم؟

ـ نحن قلقون عليك!

ابتسم «تختخ» و«زنجر» يقفز على قدميه فرحًا ومبتهجًا..

تختخ: ذهبت في مشوار صغير عند «الطابية»!

سامي: لقد تحطمت «الطابية» منذ زمن بعيد!

تختخ: فعلًا.. لم يبق منها إلا الأطلال!

سامي: وهناك حكايات وحكايات عن السراديب الموجودة تحتها ولا أحد يستطيع الدخول إليها!

فجأة قالت «لوزة»: الآن يا «سامي» يمكن أن تقول لنا ما هو تاريخ «أبوقير».. ولماذا سميت كذلك؟

نوسة: أنت لا تنسين شيئًا؟!

لوزة: فرصة لنعرف أين نحن؟!

التفت الجميع إلى «سامي» الذي قال: لقد قرأت في بعض المراجع بعد أن سألتني «لوزة».. وخلاصة التاريخ أن «أبوقير» ضاحية من ضواحي «الإسكندرية»، وقد بدأ تاريخها عندما دفن بها الآله الفرعوني «سيرابيس» في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. ولهذا سميت «كانوبيس» وظلت تحمل هذا الاسم حتى دخلت المسيحية «مصر»، فسكن فيها قديس يدعي «كير» أو«sante cyr» أي «القديس كير»، وكان طبيبًا، وفي عصر اضطهاد المسيحية قام الإمبراطور الروماني «دقلديانوس» بإبادة عدد كبير من المسيحيين كان بينهم «سانت كير» الذي حرف اسمه بعد ذلك إلى «أبوقير»!!

كان المغامرون يستمعون إلى «سامي» بإعجاب حين مضى يقول: وقد اشتهرت «أبوقير» بأنها ميناء عظيم، شيد فيها أحد الحكام «الطابية» التي كانت قلعة مزودة بالأسلحة للدفاع عن «الإسكندرية».. وقد ازدادت شهرة «أبوقير» في العالم كله بعد أن اختارها القائد الفرنسي الشهير «نابليون» لتكون مقرًا لأسطوله الذي حضر به من «فرنسا» وهو الأسطول الذي أغرقه الأدميرال البريطاني «نيلسون» وهي الموقعة التي دارت سنة ١٧٩٨، وعرفت في التاريخ

بسم معركة «أبوقير البحرية».. وقد دخلت السكة الحديد «أبوقير» عام ١٨٧٦.

توقف «سامي» عن الحديث فصفق له المغامرون وقالت «نوسة»: برافو «سامي».

وكانت «لوزة» مبهورة بما تسمع، ولكنها عادت تسأل: ولكن لماذا انهزم أسطول «نابليون»؟

ارتفع صوت الجميع قائلين: خلاص يا «لوزة» .. إننا لسنا في حصة تاريخ!

صمتت «لوزة» وهي تمد بوزها دليلًا على عدم الرضا.. وبعد فترة صمت قصيرة قال «تختخ» موجهًا حديثه «لسامي»: هل ستسمح لي يا «سامي» باستخدام «الموبايل» الخاص بك؟

سامي: طبعًا.. وما المانع؟!

تختخ: هل يمكن أن تعلمني كيف أستخدم الكاميرا؟

سامي: المسألة بسيطة.. إنها مثل أي كاميرا أخرى.. ما عليك إلا أن تنظر من «الفيور» أي فتحة النظر لتحدد اللقطة ثم تضغط على زِرّ التصوير!

تختخ: أظن أن الكاميرا تصدر ضوءًا!

سامي: لا.. إنها تصور على الضوء العادي!

تختخ: وما المسافة التي تصور عليها؟

سامي: بوضوح بين خمسة إلى سبعة أمتار.. وأقل وضوحًا بعد ذلك حسب المسافة!

تختخ: شكرًا.

سامي: ولكن ماذا ستصور إن شاء الله؟

ابتسم «تختخ» ابتسامة غامضة وقال: إنها مهمة سرية!..

نظر الجميع إلى «تختخ» في دهشة.. وهنا سألت «نوسة»: هل ستذهب غدًا لتنظيف السمك؟!

تختخ: نعم.. وسأقوم بعمل آخر!

لـوزة: لماذا لا نشترك معك؟

تختخ: في تنظيف السمك؟

لـوزة: في المهمة الأخرى!

تختخ: إنها مهمة خطرة..

(١٠)
الساندوتش المنقذ

استيقظ «تختخ» مبكرًا وبعد إفطار سريع استبدل ثيابه بثياب الصيادين الممزقة، وأخفى التليفون المحمول بين طيات ملابسه.. وأعد لنفسه ساندوتشًا من البيض المسلوق وضعه في جيبه.. وبعد أن نظر في المرآة، واطمأن على مظهره خرج.. ولم يكد يسير بضعة أمتار حتى وجد «بِسَارْيَة» في انتظاره!

تبادلا التحية وقال «تختخ»: هل هناك معلومات أخرى عن «الطابية» وعن السراديب التي تحتها؟

بسَارْيَة: كل ما أعرفه قلته لك.. وإن كانت عصابة «القصاص» تمنع الصيادين من دخولها!

تختخ: هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين «الطابية» والمزرعة؟

بسَارْيَة: تقصد عن طريق السراديب؟

تختخ: نعم.. في هذه الحالة يتم الربط بين البحر الميت والبحر الأبيض!

بسَارْيَة: ياه.. إنها فكرة جهنمية!

اقتربا من المزرعة.. ووقفا بين الصبيان الباحثين عن عمل.. وأشار «بسَارْيَة» إلى الرجل الذي يقوم باختيار الشغيلة الصغار إشارة خاصة فهز الرجل رأسه وتقدما معًا وأشار لهما الرجل بالدخول!

أحس «تختخ» ببعض التوتر.. فقد كان يخشى أن يلاحظ أحدهم «الموبايل» الذي يحمله.. ولكنه كان قد أخفاه جيدًا بين طيات ملابسه..

جلسا إلى الطبلية الضخمة التي يوضع عليها السمك المراد تنظيفه وكان معهما ثلاثة أطفال آخرين.. ويبدأ العمل و«تختخ» يفكر كيف سيتمكن من تصوير المزرعة من الداخل، خاصة السيارات والأشخاص.. وكل ما يمكن أن يُتَّبع في الكشف عن عصابة «القصاص»!

كانت كمية السمك قليلة هذا الصباح، وقرر «تختخ» أنهما لن يبقيا في المخزن أكثر من ثلاث ساعات، وعليه أن يعمل بسرعة.. وهكذا أخذ ينظر حوله مختلسًا النظر في القادمين والخارجين، وبسرعة أخرج الكاميرا، وأخذ يلتقط الصور..

ولاحظ ثلاثة من الأشخاص يبدوأنهم أجانب نزلوا من سيارة فاخرة وتبادلوا بعض الكلمات ثم اتجهوا إلى مكاتب المزرعة وثارت في نفس «تختخ» الرغبة في أن يعرف ماذا وراء الباب الكبير الذي تختفي خلفه مكاتب الإدارة.

نظر إلى الرجل الذي يقوم بمراقبتهم فلم يجده مكانه.. وفكر أن المراقب وجد كمية السمك لا تستحق المراقبة فانصرف إلى عمل آخر، وهكذا قام «تختخ» من مكانه وأخذ يتستر خلف السيارات الواقفة حتى وصل إلى الباب الكبير!!

كن «بسَارَيَة» يتابعه بعينيه ويحاول أن يشغل الصبيان الآخرين بالكلام حتى اختفى عن ناظريه.

وصل «تختخ» إلى الباب الكبير ووجد عن يمينه غرفة كانت لحسن الحظ خالية فدخل فيها.. وكانت أفضل مكان يمكن أن يصور به ما يحدث في الداخل، فقد كان بها نافذة واسعة من الخشب استطاع أن يفتح أحد ضلفتيها ويختفي خلف الأخرى، وأخذ يصور تنكات السمك الحي الضخمة وهي تسير على قضبان حديدية إلى السفينة الواقفة في الخارج.. وصناديق السمك الذي تم تنظيفه وتثليجه.. وحاويات أخرى ضخمة لا يعرف ما بها.. والأجانب الثلاثة يتحدثون مع بعض الأشخاص وهم يشيرون إلى الحمولة الضخمة التي ستحملها السفينة.

ظل «تختخ» يصور دون توقف ثم شاهد الأجانب الثلاثة يتجهون إلى سياراتهم وعرف أنهم سيخرجون من الباب الكبير فأسرع يخرج وفي خطوات سريعة حذرة كان يجلس في مكانه منهمكًا في تنظيف السمك وقد ارتفعت دقات قلبه وهويجوس ببصره في المكان، ولكن كل شيء كان يمضي في هدوء.

كما قدر «تختخ» انتهى عملهم بعد ثلاث ساعات تقريبًا، وبدأوا في الانصراف، وهوسعيد بأنه قام بالعمل المهم وهوتصوير مقر المزرعة وحركة العمل فيها.. وسعيد أيضًا أنه سيتقاضى الجنيهات الثلاثة أجره عن عمله.. ولكن الجنيهات انخفضت إلى النصف، وقال الرجل وهويصرف الأجور: إنكم عملتم نصف يوم فقط..

جاءت لحظات الخطر فجأة عندما صح مراقب الباب: أنت.. أنت هناك!

توقف العمال الصغار وقد أصابهم الاضطراب.. وقال الرجل مشيرًا إلى «تختخ»: أنت هناك!

تختخ: أنا!

الرجل: نعم.. ماذا تضع في جيبك!

كان «تختخ» قد نسي إخفاء الكاميرا تحت الثياب أثناء خروجه.. وأدرك أنه وقع، وأن مجهوداته ضاعت هباءً، وقد ينتظر عقابًا رادعًا أو يسجن في المزرعة.

في لمح البصر أخرج الكاميرا من جيبه وهو يلتصق في صديقه «بِسَارْيَة» ووضعها في جيبه قائلًا: أسرع أنت بالخروج!

واتجه «تختخ» إلى الرجل وهويضع يده في جيبه حيث الساندوتش فقال الرجل: أخرج يدك من جيبك.

أخرج «تختخ» يده وبها «ساندوتش» البيض المسلوق الذي كان قد أعده في المنزل ليتناوله إذا جاع وقال للرجل: إنه ساندوتش بيض!

أخذ الرجل يفتش «تختخ» فلم يجد شيئًا وقال: هات الساندوتش وامْشِ!

أسرع «تختخ» خارجًا وهولا يصدق أنه نجا من هذا المأزق الخطير بفضل ساندوتش البيض المسلوق، وتقابل مع «بِسَارْيَة» الذي سلمه التليفون المحمول خارج المزرعة.

أسرع إلى الفيلَّا، وكان الأصدقاء يجلسون في الحديقة يتبادلون الأحاديث حول مغامرة «تختخ» في مزرعة السمك.. وكل منهم يقدم تصورًا لما حدث في المزرعة.. وماذا فعل «تختخ» بالموبايل.. وهل استطاع تنفيذ ما خطط له؟

كان الوقت حوالي الحادية عشرة ولم يكونوا يتوقعون حضوره قبل الرابعة كما حدث أمس.. ولكن كم كانت دهشتهم عندما وجدوه يقف بباب الحديقة في ملابس الصيادين الممزقة وقد فاحت منه رائحة السمك!

صاحت «لوزة» وكانت أول من رآه: تختخ.. تختخ!

أما «زنجر» ففي قفزة واحدة كان عند قدميه ينبح ويهز ذيله في فرح!

ابتسم «تختخ» ولم يتحدث وأشار بيديه أنه سيدخل ليغتسل أولًا ثم يعود..

واشتد النقاش وقال «عاطف»: ما دام قد ابتسم فلا بد أن مهمته نجحت..

محب: ولكن «تختخ» كثير السخرية من نفسه.. ولعله يبتسم لفشله..

قال سامي: يقولون إن الأذكياء فقط هم الذين يسخرون من أنفسهم!

ظهر «تختخ» وقد اغتسل وغير ثيابه فصاحوا جميعًا: ما هذ التقل.. قل لنا حالًا ماذا فعلت؟

تختخ: فعلت الكثير وكدت أسقط في يد العصابة!

حتبست أنفاس المغامرين وهم يستمعون إلى «تختخ» وهو يصف لهم المأزق الذي وقع فيه.. وكيف خرج منه فقالت لوزة: عاش ساندوتش البيض!

وردد الأصدقاء خلفها في مرح: عاش.. عاش.. عاش..

ثم مد «تختخ» يده بالموبايل إلى «سامي» قائلًا: شكرًا..

سامي: لا بأس.. دعنا نرى ماذا صورت..

أخذ «سامي» يستعيد الصور التي صورها «تختخ» على «الموبايل» وقال: ممتاز.. إنها صور واضحة!

تختخ: المهم أن يكون لها فائدة!

سامي: أظن أن علينا أن نلجأ إلى الرائد «زياد» فهو الوحيد الذي يمكن أن يفسر لنا هذه الصور.. وقد يعرف بعض ما فيها من أشخاص.. فهو مهتم بقضية

الذين يسافرون ولا يعودون؛ والصحف تنشر هذه الموضوعات المثيرة، مما يحرج رجال الشرطة.

أخذ المغامرون يتفحصون الصور واحدة واحدة.. وعند صورة معينة قالت «نوسة»: أظن أن هذا هو رجل الموتوسيكل!

أخذ الجميع يتبادلون الصورة ويتفحصونها فعدت «نوسة» تقول: لقد قابلته مرتين.. فأنا أعرف طوله وشكله وملابسه.. إنه في هذه الصورة بدون «خوذة» ولكني متأكدة من أنه رجل الموتوسيكل.

تختخ: هذا يعني أنه جزء من العصابة!

عاطف: من الواضح أنه المسئول عن جميع الشبان الذين يريدون السفر للخارج.. وهو الذي يأخذ النقود لتوصيلها للعصابة فهو إذن مندوب العصابة عند الصيادين الشبان!

سامي: هذه المعلومات ستعجب الرائد «زياد»!

محب: هيا نذهب إليه!

سامي: لنسأل عنه أولًا.. فهو يخرج كثيرًا لمتابعة عمه

كضابط مباحث.. وهؤلاء لا يبقون في مكاتبهم كثيرًا!

تختخ: إذن اتصل به!

قام «سامي» إلى التليفون وطلب قسم شرطة «أبوقير» ولحسن الحظ كان الرائد «زياد» موجودًا.. وبعد محادثة طويلة قال الرائد «زياد»: هل تقول إن هناك صورًا؟

سامي: نعم.. التقطها الصديق العزيز «تختخ»!

زياد: «تختخ» أحد مجموعة المغامرين الخمسة؟

سامي: نعم!!

زياد: هل هم عندك؟

سامي: نعم..

زياد: والكلب «زنجر»؟

سامي: والكلب «زنجر»!

زياد: إذن.. لهم عندي مفاجأة!

(١١)

تختخ في المصيدة

كانت المفاجأة التي أعدها الرائد «زياد» للمغامرين الخمسة مفرحة جدًا.. فقد وصل المفتش «سامي» إلى «أبوقير» ولم يكن ذلك بالصدفة بل كان في مهمة خطيرة بدأت في«الإسكندرية» ثم «إيطاليا» و«إسبانيا» ثم «القاهرة» ثم «الإسكندرية».

وبعد عدةٍ اتصالات كانت سيارة المفتش «سامي» تقف أمام باب ڤيلًلا «سامي» في «أبوقير».. وتبادل المفتش والمغامرون التحيات الحارة ثم قال «عاطف» ضاحكًا: وكوب الليمون المثلج في انتظارك!

المفتش «سامي»: لقد شاهدت أشجار الليمون في حديقة الڤيلًّلا!

نوســة: وقد قطفت اليوم كمية من الليمون الطازج!

المفتش: عظيم!

جاء كوب الليمون وقال المفتش: علمت من الرائد «زياد» أنكم تقضون الإجازة هنا!

محب: ونعيش مغامرة لا نعرف متى تنتهي!

المفتش: يجب أن تنتهي سريعًا حتى تتمكنوا من قضاء إجازتكم!

تختخ: سنشرح لسيادتكم ما حدث!

أخذ «تختخ» يروي باختصار ما جرى منذ العثور على اللفة السوداء.. وحتى قيامه بتصوير مزرعة السمك من الداخل!

وأخذ «تختخ» يعرض على المفتش الصور التي التقطها فصاح المفتش الذي نادرًا ما يرفع صوته: ما هذا؟!

تختخ: إنها صور من داخل المزرعة!

المفتش: ولكن هذا الرجل...؟!

وأشار المفتش إلى إحدى الصور التي ظهرت على شاشة «الموبايل» ثم قال: هذا الرجل خطير جدًا!

كان الرجل الذي في الصور يضع نظارة سوداء.. طويل القامة.. واضح القوة..

تختخ: ما سبب خطورته؟

المفتش: إنه الرجل الذي دوخ رجال البوليس في «مصر» و«إيطاليا» و«إسبانيا» وربما في دول أخرى فهو زعيم عصابة من أخطر عصابات «إيطاليا»، بل هي عصابة لها فروع في بعض عواصم العالم.. والخطير في هذه العصابة أنها تعمل في أنواع مختلفة من الجرائم وليست متخصصة في نوع واحد وهومطلوب من الإنتربول الدولي..

حبس المغامرون أنفاسهم.. فهم الآن طرف في مطاردة عصابة دولية وفهموا من لهجة المفتش أن المسألة خطيرة جدًا!

وبعد لحظات من الصمت قال المفتش: المهم أن يكون هوالرجل الذي أقصده، فهذه الصورة أخذت من بعيد ومن الصعب التأكد من الرجل خاصة وهو يجيد التخفي!

قال «تختخ» فجأة: أستطيع أن أصوره عن قرب!

المفتش: تريد أن تدخل مزرعة السمك مرة أخرى!

تختخ: لاستكمال المهمة!

أخذ المفتش يفكر لحظات ثم قال: هذا خطير جدًا يا «تختخ»!

تختخ: ما دمت قد استطعت الدخول مرتين سأتمكن من الدخول مرة ثالثة!

المفتش: سأتصل بكم بعد ساعتين؛ فسوف أقوم بإجراء بعض الاتصالات.. وأضع بعض الترتيبات!

خرج المفتش وخرج معه المغامرون وقد أحسوا بالاطمئنان لأن المفتش موجود.. إنه في الأغلب يفكر في خطة ما.

* * *

في الصباح قام «تختخ» بارتداء ملابس الصياد الرَّثّة.. ووضع «الموبايل» في جيبه وسرعان ما كان يقف في طابور المنتظرين.. وكان «بَسَارْيَة» يقف بجواره.. وحسب الإشارة المتفق عليها بين «بَسَارْيَة» والرجل الذي يختار الأولاد، دخلا مع ثلاثة آخرين.. ولكن «تختخ» فوجئ بأن مكان تنظيف السمك قد تغير.. فقد أصبح على شاطئ البحر مباشرة وأخذ يفكر في أسباب هذا التغير..

انهمك في عمله.. وكانت كمية السمك المعد للتنظيف كبيرة.. وأخذ المراقب يستحثهم على العمل بسرعة.. وكان

«تختخ» يفكر في الطريقة التي سيقوم فيها بتصوير الرجل المهم الذي يطلبه الإنتربول أو البوليس الدولي والذي فشلوا جميعًا في الإيقاع به.

كان «تختخ» يعمل في تنظيف السمك، ولكن نظراته كانت تطوف بالمكان؛ إنه يريد أن يرى الرجل لتصويره عن قرب.. وفعلًا وجد الرجل يتحرك قرب الباب وقرر المغامرة، فترك السمك وقام واقفًا وأخرج «الموبايل» من جيبه، وبدأ في التصوير من خلف سيارة كانت واقفة.. ولم يكن يدرك أنه في نفس الوقت كانت هناك عيون ترقبه.. عيون شريرة تنتظر الفرصة للإيقاع به.. وقد جاءت الفرصة سريعًا.. فبعد أن عاد إلى مكانه طلب منه المشرف أن يحمل كمية من السمك الذي تم تنظيفه إلى داخل المبنى الإداري للمزرعة.

ولم يكن «تختخ» يشك لحظة في أنه داخل إلى مصيدة لا يستطيع الخروج منها.. وهكذا حمل كمية السمك المطلوبة ثم اتجه إلى المبنى حيث يتم نقل السمك الذي تم تنظيفه إلى أماكن التثليج والإعداد للشحن.

لم يكد «تختخ» يدخل المبنى الإداري حتى انقضَّ عليه رجل ضخم الجثة وضع يده على فمه ويده الأخرى على

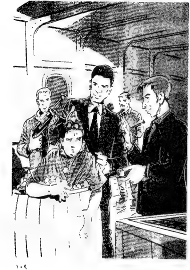

عينيه. ووجد «تختخ» نفسه يرتفع في الهواء ثم يلقى إلى داخل برميل من براميل السمك المثلج وقد تم ربط فمه وعينيه بشريط لاصق.

أدرك «تختخ» أن العصابة لم تكن غافلة عنه، ولعل أحد الأولاد العاملين معه في تنظيف السمك وَشَى به.. وربما لاحظ المراقب تحركات «تختخ» الغريبة.

تحرك البرميل فوق السير الذي ينقل البراميل.. وأحس «تختخ» بالبرميل يتدحرج إلى الداخل.. وفجأة انسكبت عليه كمية من الثلج وسرعان ما أحس ببرودة الثلج تتسلل إلى عظامه.. وبنفسه يضيق ويكاد يفقد وعيه.

أحس بالبرميل يتدحرج ثم سمع أصوات أشخاص مختلفة ثم وجد البرميل يتدحرج مرة أخرى ثم أحس به يتوقف، ويد تمتد إليه فترفعه من الثلج.

تصور «تختخ» أن أحدًا قد تقدم لإنقاذه لعله الرائد «باد» أو المفتش «سامي» ولكنه وجد نفسه وجهًا لوجه مع الرجل الخطير.. زعيم العصابة المطلوب من الإنتربول في جميع أنحاء العالم.

بلغة عربية مكسرة قال الرجل موجهًا حديثه إلى «تختخ»:

ماذا تفعل هنا؟!

أخذ «تختخ» ينظر حوله.. كان ثمة ثلاثة رجال مسلحين يقفون بجوار الزعيم وقد حملوا المدافع الرشاشة.. فأدرك أنه وقع في الفخ.

عاد الرجل يسأل: ماذا تفعل هنا؟

قال «تختخ» وقد استرد أعصابه: إنني أسألك لماذا أنا هنا؟!

ابتسم الزعيم ابتسامة صفراء وقال: لقد كنت تقوم بتصوير المزرعة من الداخل فلحساب من تعمل؟!

تختخ: إننا مجموعة من الأصدقاء جئنا لزيارة «أبوقير» لا أكثر!

الزعيم: وهل ضمن الزيارة تصوير المزرعة من الداخل!

في نفس الوقت كانت بعض الأيدي تعبث بملابس «تختخ» وسرعان ما أخرجوا الموبايل!

عاد الزعيم يبتسم: هل أنت صبي صياد تبحث عن عمل؟! أم مغامر تبحث عن مغامرة؟!

قال «تختخ» بثبات: لقد قلت لك ما عندي!

كان «تختخ» قد أدرك أنه على ظهر سفينة وأنه في قمرة القبطان، وأن السفينة تستعد للرحيل.

قال الزعيم: على كل حال سوف تتحدث وتقول الحقيقة إذا علمت أن السفينة في طريقها إلى «إيطاليا».. فإذا قلت لي الحقيقة فسوف أتركك هنا على البر.. وإذا لم تقل الحقيقة فسوف آخذك معي.. وفي الطريق قد نلقيك في البحر.. أونأخذك إلى «إيطاليا» حيث لا أحد يعرفك وفي إمكاننا التخلص منك بألف طريقة!

ربما كان هذا الموقف أخطر ما تعرض له «تختخ» في حياته.. وكان الزعيم يتفرج على «الموبايل» فقال ساخرًا: لقد مسحت كل الصور التي كانت عليه.. ولكن المؤكد أن صورتي كانت ضمن الصور التي التقطتها!

لم يكن عند «تختخ» ما يقوله.. وغادر الزعيم قمرة السفينة وغادر الحراس الثلاثة خلفه ثم أغلقوا باب القمرة بإحكام.

وقف «تختخ» يفكر فيما ينبغي أن يفعل.. هل يصمت ويعرض نفسه للموت؟! أم يتحدث ويخون أصدقاءه والمفتش «سامي» والرائد «زياد»؟!

سمع صفارات السفينة وهي تنطلق استعدادًا للرحيل.. وأصوات السلاسل الثقيلة وهي تسحب من الرصيف استعدادًا للإبحار!

أخذ «تختخ» يبحث حوله عن طريق للهرب.. كان الباب موصدًا بإحكام.. وكان أحد الحراس يقف بالباب، وكانت نافذة القمرة مغطاة بالزجاج السميك.. لم يكن هناك مهرب من أي نوع.

حسب تقديرات «تختخ» كانت الساعة تقترب من الثانية ظهرًا.. وأخذ يفكر.. أين المفتش «سامي» الآن.. وأين الرائد «زياد».. وأين المغامرون الخمسة وصديقهم صاحب الڤيللا «سامي»؟!

تحرك نحو نافذة القمرة.. وأخذ ينظر خلال الزجاج السميك.. ولدهشته الشديدة وجد السفينة تمر في نفق مظلم أدرك أنه تحت الطابية، وأنها في طريقها إلى «البحر الميت» إلى «البحر الأبيض».

إذن انتهت مغامرة «تختخ» الخطيرة.. فبعد قليل سيكون في عرض البحر على السفينة متجهًا إلى «إيطاليا» أو أي بلد أوروبي آخر.. أو قد يلقون به في المياه وتنتهي القصة.. ولا يعلم ماذا سيكون مصيره خلال الساعات المقبلة..

(١٢)

صراع في البحر الهائج

في قلب السفينة التي اجتازت النفق السري في الطابية إلى «البحر المتوسط» كان «تختخ» يفكر فيم حدث.. لقد تطورت الأمور بأسرع وأسوأ مما قدر له.. فهو الآن يتجه إلى مصير مجهول دون أن يعرف أحد أين هو، وفكر أن «بسارِيَة» قد ينتبه لما حدث وأن يذهب إلى المغامرين ليقول لهم إن «تختخ» تم خطفه.. وسوف يتصل المغامرون بالرائد «زياد» أو المفتش «سامي» ليطلبوا إنقاذ «تختخ» ولكن من يعلم مكان «تختخ» الآن، وأين سيكون بعد بضع ساعت؟!

كانت القمرة ضيقة.. فلابد أنها سفينة صغيرة أعدت لحمل الزعيم ولا بد أنها سريعة جدًا وهو يحس بها تكاد تقفز فوق مياه البحر.. حاول أن يفتح الباب، ولكنه كان محكم الإغلاق، وعليه حارس متوحش لن يرحمه.

الشيء الغريب أن «تختخ» في هذا الموقف الخطير كان يفكر في الطعام.. فقد أخذت معدته تشكو لأن موعد الغداء

قد فات.. وقال «تختخ» في نفسه إنه إذا كان سيموت فليمت شبعان وليس جائعًا.. وأخذ يفتش في القمرة ولدهشته وجد حقيبة أنيقة لم يتردد في فتحها، وكانت دهشته الأكثر أن وجد بها كمية رائعة من «السالمون فيميه» و«الكافيار».. وأنواعًا من الجبن الفاخر وخبزًا محمصًا.. ولم يتردد لحظة واحدة، وانقضَّ على الطعام وأخذ يأكل ولكنه لم يهنأ بالطعام كثيرًا فقد فتح الباب ودخل الحارس العملاق.. وأخذ ينظر إلى «تختخ» وقد أصابته الدهشة.. فكيف يفكر أي شخص في الطعام وهو أسير بين أيدي عصابة رهيبة هو بالنسبة لها مجرد نملة صغيرة تحاول قتال فيل ضخم.

لم يلتفت «تختخ» إلى الحارس وظل منهمكًا في الأكل وعندها صاح الحارس: ماذا تفعل؟!

رد «تختخ» من فم محشو بالطعام:كما ترى.. أتناول غدائي.. تفضل معي!

مد الحارس يده الضخمة وجذب «تختخ» قائلًا: أنت الذي ستتفضل معي!

جذب الحارس العملاق «تختخ» من يده، وكانت يده الأخرى تضع قطعة أخرى من الكافيار في فمه..

صعدا السلالم الضيقة والسفينة تتأرجح في المياه حتى وصلا إلى السطح حيث قمرة القبطان ودفع الحارس العملاق «تختخ» إلى القمرة الزجاجية وكانت الأمواج تضرب نوافذها المغلقة ويعلوصوت ارتطامها بالزجاج كأنه دوي القنابل!

قال القبطان على الفور: اسمع يا بني.. كلفني الزعيم أن ألقي بك في البحر!

ونظر القبطان بعينيه النافذتين إلى وجه «تختخ»: ولكن كي تنقذ حياتك فعليك أن تقول لنا: من الذي أرسلك للتجسس علينا؟!

رد تختخ: لا أحد!

القبطان: كيف هذا؟ هل تعمل لحساب نفسك؟!

رد تختخ: لا.. أنا وبقية المغامرين!

صاح القبطان منفعلًا: أي مغامرين؟!

تختخ: المغامرون الخمسة!

انفعل القبطان ويريد «الضمان» الذي يوجه السفينة محاولًا تجاوز الأمواج العالية: من هم المغامرون؟!

تختخ: المغامرون الخمسة مجموعة من الأولاد والبنات يساعدون العدالة!

القبطان: إذن أنت تعمل مع الشرطة؟!

تختخ: أنا لا أعمل مع الشرطة.. ولكن أساعدهم!

القبطان: أنت غلباوي.. إذا لم تتحدث بصراحة سألقيك في الماء حالا!

تختخ: إنني صادق في كل ما قلت!

قال القبطان: خذ هذا الولد للزعيم.. إنه غلباوي.. ولعل الزعيم يتمكن من فهم ما يقول!

جذب الحارس المتوحش «تختخ» من ذراعه، وعاد إلى السلالم الضيقة.. وفجأة مالت السفينة ميلًا شديدًا، ووجد «تختخ» نفسه يقع من على السلالم الأخيرة، وقد انطفأت أنوار السلالم والممر الذي يؤدي إليها، وارتفعت صيحات من هنا وهناك، الماكينات توقفت عن العمل!

كان الظلام في قلب السفينة دامسًا.. ورغم الآلام التي أحسها «تختخ» فقد أخذ يحبو مسرعًا وهويسمع الحارس يسب ويلعن ويصيح: أين أنت أيها الولد؟!

كان «تختخ» يتحسس جدارن الممر، ووجد بابًا مفتوحًا فدخل وأغلق الباب.. لم يكن يرى شيئًا، ولا يعرف أين هو!

استند إلى جدار السفينة التي أخذت تترنح في سيرها، وهويتأرجح ذات اليمين وذات والشمال وقد بدأ الخوف يتسرب إلى نفسه.. ثم جاءت مشكلة أخرى فقد أحس بفأر يسير على ساقه ويصعد فدفعه بشدة فهو يكره الفئران والصراصير.. وعادة ما يكون قاع السفينة حافلًا بهما.

فجأة شاهد ضوءًا خافتًا يمر بجواره بسرعة ثم يذهب ويعود مرة أخرى، وكانت السفينة الصغيرة تترنح في الظلام مطفئة الأنوار فمن أين أتى هذا الضوء؟!

مرة أخرى مسح الضوء السفينة واختفى وسمع ضجة في الممر وأقدامًا تجري وصيحات خوف واضطراب.. وظهر الضوء مرة أخرى ولكن هذه المرة كان من ثلاثة اتجاهات وثبت فوق السفينة، وخيل إليه أنه سمع أصواتًا قوية تنطلق في الظلام.. ثم استطاع أن يسمع فوق صوت الأمواج العاتية.. صوت بوق ضخم يصدر أوامره.. قف.. قف مكانك.. أنت محاصر.. ثم سمع دوي قذيفة مدفع قوية تمر فوق السفينة فترجها رجًا.

دارت السفينة حول نفسها.. كان من الواضح أنها تريد الدوران والابتعاد عن الضوء القوي الذي يحاصرها من ثلاث جهات.. وفعلًا استطاعت الإفلات في الظلام بعد أن ابتعدت عنها الأنوار.

سمع «تختخ» صوت الباب الذي يختفي خلفه يفتح.. ثم سمع أصواتًا مسرعة تمر به.. وأصواتًا تقول: ألقوا الشحنة في البحر!

أدرك أنه في مخزن السفينة وأن من بها يحاولون إخراج الشحنة التي تحملها، وأخذت الأقدام تمر به في الظلام دون أن يراه أحد.. وخطر بباله خاطر جريء.. مد ساقه أمام الشخص الذي كان يمر به يحمل صندوقًا فسقط على الأرض وهو يسب ويلعن.. وتبعه الآخرون ووقعوا جميعًا على الأرض ومعهم الصناديق التي يحملونها.. وفجأة عاد الضوء إلى السفينة.. ووقف الذي يبحث عنه الزعيم.

لم ينتظر «تختخ» لحظة أخرى وانطلق يغادر المخزن ويصعد إلى السلالم.. وكانت المفاجأة أن وجد السفينة محاصرة بثلاثة أضواء قوية تأتي من سفن ضخمة أطاحت بالسفينة ثم سمع صوت بوق عاليًا تصدر منه الأوامر: خفر السواحل تحيط بكم..أوقفوا السفينة!!

ثم انطلقت ثلاث قذائف متقاطعة مرت فوق السفينة الصغيرة فزادت من اضطرابها فوق الأمواج العالية.

عاد الصوت يقول: خفر السواحل.. أوقفوا السفينة!

على الفور سكتت الماكينات.. وتوقفت السفينة..

* * *

في تلك الأثناء كان «عاطف» و«لوزة» و«محب» و«نوسة» وصديقهم «سامي» الذي دعاهم للزيارة ومعهم «زنجر» يقفون في شرفة الڤيللا وقد أصابهم القلق على مصير «تختخ» الذي لم يعد وقد أسدل الظلام أستاره على «أبوقير» وهبت عاصفة رفعت الأمواج إلى ارتفاعات رهيبة.. لم يكن في إمكانهم أن يعرفوا أن المفتش «سامي» بعد أن تركهم وضع خطة محكمة لمراقبة المزرعة ومتابعة كل من يخرج منها أويدخل فيها.. وأنه بالتنسيق مع الرائد «زياد» التقطوا «بِسَارْيَة» الذي روى لهم ما جرى في المزرعة.. واختطاف «تَختخ»، فطلب منه المفتش «سامي» ألا يخبر أحدًا بما شاهد وأن يعود إلى منزله فورًا.. وهكذا ظل الأصدقاء نهبًا للقلق وهم يحاولون الاتصال بالرائد «زياد»، والمفتش «سامي» دون جدوى.

ومرت ساعات الليل دون طعام ولا نوم فهذه أول مرة يغيب عنهم «تختخ» كل هذا الوقت.

وأشرفت الساعة على السادسة صباحًا وبدأ النور يتسلل إلى شوارع «أبوقير» وبيوتها.. وكان ثمة صوت سيارة تقطع الطريق وفيها المفتش «سامي» والرائد «زياد» و«تختخ»!

كان «تختخ» شبه نائم وهو يستمع إلى المفتش «سامي» وهويقول للرائد «زياد»: لقد قامت القوات البحرية بواجبها خير قيام.. وسقطت في أيدينا أكبر عصابة تهريب في العالم.

ابتسم الرائد «زياد» وهويقول: الفضل الأول في كل ما حدث يعود إلى هذا المغامر الذي غلبه النوم.

ابتسم المفتش وهويقول: لقد كان كل ما شكا منه هوالفأر الذي كان يزحف على ساقه فهو لا يحب الفئران.

* * *

دق جرس باب الڤيلّلا، فقفز المغامرون جميعًا إلى الباب وأمامهم «زنجر» ينبح ويقفز ويهز ذيله فعرفوا أن هناك أخبارًا سارة قادمة.. وفعلًا عندما فتحوا الباب وجدوا «تختخ» يبتسم أمامهم وقد غطته الأتربه وآثار جراح خفيفه في وجهه وملابسه الرثة ازدادت تمزيقًا.. وبعد ترحيب حار من المغامرين للقادمين الثلاثة قامت «نوسة» و«محب» وأعدوا إفطارًا شهيًا من الفول والبيض والجبن.. بينما أخذ «تختخ» يروي للمغامرين ما مر به من أحداث.. وكيف وضع المفتش «سامي» مع الرائد «زياد» خطة الإيقاع بالعصابة، وكيف تركوا أفرادها وزعيمهم يركبون السفينة حتى يقبضوا عليهم معًا ولا يفر منهم أحد.

فجأة قالت «لوزة»: ولكن ما مصير «أبو شلبي» صديقنا الصغير؟

أجاب «تختخ» مبتسمًا: لقد عثرنا عليه في السفينة ضمن عدد من البحارة كانوا ممنوعين من النزول إلى البحر.

نوسة: وهل عاد إلى منزله؟

تختخ: نعم.. أوصلناه بالسيارة، وقد دعانا لزيارته اليوم..

بعد الإفطار قام المفتش «سامي» والرائد «زياد» بتوديع المغامرين وقال المفتش مبتسمًا: الآن يمكنكم بدء الإجازة.

تمت